

# أَسْرَارُ الْحَمَلَةِ عَلَى مِصْرَ

وَضَعَهُ الصُّحَفِيُّانِ الْفَرَنْسِيَّانِ  
مِيرِي وَسِيرَج بَرُومْبَرْغَر

دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ  
بِزِدَت



اشترى من شارع المتنبي ببغداد  
في 17 / ربيع الآخر / 1444 هـ  
في 11 / 11 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائي

# أسرار الحملة على مصر

وضعه الصحفيان الفرنسيان  
ميري وسيرج برومبيرغ

م. سمر حاتم شكر

دار العلم للملايين  
بيروت

## محمدي

لم يدرك الجمهور غير القليل من الحقائق عن الجهود الضخمة التي بذلت لتحقيق عمليات انزال الجيوش الحديثة في الاراضي المصرية والتي كانت قواعدها الافرنسية في مرسيليا والجزائر على مسافة ثلاثة آلاف كيلو متر من ارض المعركة . وكانت قواعدها البريطانية في لندن وجزيرة مالطة على مسافة ٤٥٠٠ كيلو متر و ١٥٥٠ كيلو متراً من ارض مصر .

كما ان معرفته بحقيقة المساعدة الافرنسية المقدمة الى اسرائيل في صحراء سيناء ضئيلة جداً . هذا بالإضافة الى السفينة الذرية الحربية ( كيوسانت ) التي اشتركت مع السفن الاسرائيلية في القبض على المدمرة الصغيرة ابراهيم الاول .

على ان هذا كله كان بداية النجدة الممنوحة لدافيد بن غوريون



في معركته العدوانية ضد مصر .  
لقد قدمت الحكومة الفرنسية الى إسرائيل طائرات نافورية  
قادرة على مقابلة طائرات ميغ واليوشين التي يستعملها عبد الناصر .  
كما اقترضتها الاسلحة التي سمحت لها بتحقيق اغراضها الخاصة .  
لقد منحتها مجناً ذا فاعلية ضخمة . فجاءت مجموعات من  
الطائرات الافرنسية تحط في مطارات اسرائيل منذ بداية الهجوم  
العدواني الذي قام به موسى دايان .

لقد خرقت قنابل مدفعية « جورج ليج » تحصينات المقاومة  
في رفح ، والخنادق المصرية التي بنيت بناءً مكيناً وزودت بكل  
اسباب الدفاع وراء مدينة غزة . اما الطائرات المطاردة القاذفة  
الافرنسية ، فقد هاجمت قوافل المصريين العسكرية في تحركاتها  
فوق سيناء . وهي التي كانت تعمل بطلب من الجنرال موسى  
دايان دون ان تندمج في قواته ، في الوقت نفسه الذي ترتبط  
فيه بقيادة الجنرال ( بروهون ) في قبرس . بينما كانت الطائرات  
المنطلقة من قواعدها في قبرس تطلق رصاص مدافعها الرشاشة  
على السيارات المدرعة في منطقة الدلتا . لقد لعبت هذه القوات  
دوراً ناجحاً ضد الطواير المدرعة التي كانت تتجه من القاهرة  
الى الجبهة في اليوم الثاني من ايام المعركة .

اما القوات الاسرائيلية التي كانت تنطلق عبر صحراء سيناء  
دون زاد تتزود به ، فقد كانت تتلقى من السماء خزانات  
الوقود والماء وسيارات الجيب وكثيراً من الذخيرة تستعين  
بها على متابعة السير وتنفيذ مغامرتها العدوانية . ولولا هذه



النجادات التي أرسلتها القوات الفرنسية من الجو لعجز الجنرال  
موشى دايان عن تحقيق الخطوات التي قام بها حتى أصبح قريباً  
من قناة السويس .

ومن الحق ان يقال ان هذه النجاحات المسجلة ما كانت لتحقق  
لولا المساعدات الضخمة التي أمنتها القوات الافرنسية بالإضافة  
الى الحماية التي منحتها لمدن اسرائيل المفتوحة . فهيأت جواً من  
الارتياح والهدوء والطمأنينة للاسرائيليين .

ولم يتردد الجنرال دايان في الاعراب عن شكره وتقديره  
للخدمات العسكرية الضخمة التي منحت له من قبل الافرنسيين .  
حتى ان السفير الاسرائيلي قد توجه في السابع والعشرين من  
كانون الاول ١٩٥٦ الى قصر رئيس حكومة الجمهورية  
الافرنسية ليرفع شكر بلاده الرسمي على المساعدات المجانية  
الضخمة التي قدمتها فرنسا اليها .

لقد أعد كل ما يتعلق بهذه الحملة الضخمة بسرية تامة . ولكن  
قوات الافرنسيين والبريطانيين لم تكذب تضع اقدامها على الارض  
المصرية حتى امتسكت لندن امام ضغط المعارضة المنظم الذي  
زحها وأرهقها من كل مكان .

لقد كان ما حدث فشلاً ذريعاً . كان فشلاً اصابته اماتان  
قديمتان . اما الجماهير فقد تركز اهتمامها في حوادث المجر .  
وغرقت الحملة ضد مصر في خضم من النسيان .

ومهما تكن الجهود الضخمة التي بذلت من قبل المجريين



للتحرر من السوفيات فان مصير الغرب كان مرتبطاً بالشرق  
الاطوسط فقط .

لقد كانت الحقائق الجارحة خفية ضائعة قبيل هذه الحملة .  
وانني لاذكر فقرات من كلمات اندريه لا بارت قرأتها في  
الطائرة العسكرية التي كانت تقلني الى قبرس ، صور بها حقيقة  
الوضع ، ورسم ظلمة المصير . تحدث فيها عن وقود سياراتنا  
وزيت مدافئنا وطاقة مصانعنا . تحدث عن كل شيء حتى عن  
وقود ساحنات الابن التي نحمله الى اطفالنا ، وتحدث عن دماء  
حياتنا اليومية .

كانت هي المرة الاولى التي اشهد فيها هذه الحقائق . وقد  
يكون من الصعب علينا ، ان نعترف بوجود حبل في رقابنا ،  
حفاظاً منا على كرامتنا القومية .

وبما يزيد الوضع حرجاً وصعوبة ان نرسل النذير الى الراي  
العام الاوروبي وان نهيه لاستقبال مثل هذه الحملة التي تحتاج  
الى صمت وسرية تامين . ان هذا الصمت الذي احاط بالحملة ،  
قبيل بدايتها وبعدها وخلالها ، هو الذي يبرز طبيعة المأساة  
الاساسية فيها . وتعقيد الاوضاع هو الذي كان يدفع الى مزيد  
من السرية والصمت .

كانت الحكومة البريطانية حتى منتصف تشرين الاول عازمة  
على ضرب امرائيل بالقنابل دفاعاً عن الاردن الذي كانت  
تسابق فيه عبد الناصر وتباريه في تقديم الحماية لهذا  
البلد الصغير .



ولكن باريس ولندن لم تنقطعا عن التشاور الدائم منذ المفاجأة الضخمة التي قابلهما بها عبد الناصر في ٢٦ تموز ١٩٥٦ . وقد اعلنتا في مناسبات مختلفة عن امكانية استعانتهم بالاسلحة بعد فشل المفاوضات الدولية التي كانت تدور يومذاك بين مختلف الفرقاء .

لقد كانتا تعدان حملة عسكرية واسعة ؛ والتي كان خطأها انها قد ظهرت بقسوتها التامة ، في الفترة التي غضبت خلالها الجماهير الافرنسية والبريطانية بعد القهقهة العريضة التي انطلقت من الاسكندرية ، فازبدت وارعدت وطالبت حكامها بالرد العاجل السريع .

لقد كان ثلاثون من الضباط الافرنسيين والبريطانيين يجتمعون يومئذ في اقبية تحت نهر التاميز لتهيئة خطط الغزو وتعديلها وانتقادها وادخال تغييرات مستمرة عليها ، دون ان يدري أحد بها اللهم غير الملكة ورئيس الوزراء في لندن ثم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الدفاع في باريس . لكن الثابت انه لم يصدر ابدأ قرار نهائي مشترك لتنفيذ الخطة (A) والاتفاق على يوم ( صفر )

لقد كان غي موليه وبورجيس مونوري وكريستيان بينو خصوصاً أشداء لمونيخ شرقية . ولكن الحكومة الاشتراكية الافرنسية مصممة على العمل بالتعاون مع البريطانيين بحيث تحقق الامنية التي طالما سعى اليها غي موليه في خلق ( اوروبا ) موحدة .



وفي هذه الاثناء كان إيدن عاجزاً عن اتخاذ قرار نهائي .  
تضايقه واشنطن ، وتحذره بلدان الكومنولث خوفاً من  
اغلاق القناة ومن ويلات الحرب . ويشند عليه العمال المعارضون ؛  
كما يشترك في المعارضة بعض من وزراء حكومته . لهذا كله  
كان يرجىء باستمرار اعطاء قرار نهائي فيما يتعلق بطبيعة الحملة  
وتحديد زمانها .

وفي هذه الاثناء كانت اسرائيل ، التي تشهد ائتلاف العرب  
وتجمعهم تجد نفسها كالفأرة في المصيدة . يهددها العرب بالابادة .  
فتحرق الارم على ما اصابها وتطالب بالاسلحة . اما فرنسا التي  
كانت تجد نفسها في حالة حرب مع عبد الناصر في ميدان الشمال  
الافريقي وتشهد اختناقها بعد وضع اليد على قناة السويس ،  
وهي شريان حياة الاوروبيين فانها لم تجد مبرراً لتردها في  
انجاد الدولة الاسرائيلية الهزيلة .

ولم تكذ اسرائيل تتسلم الاسلحة الضخمة حتى قررت الهرب  
الى الامام . اي قررت القيام بهجوم وقائي .

لم تكن باريس وتل ابيب بحاجة الى حلف مكتوب يجمعهما ؛  
فقد جمعتهما الاحداث .

لقد رأى بعض السياسيين ان احتلال اسرائيل للضفة اليسرى  
من قناة السويس ، جدير بخلق وضع جديد يساعد على اقرار  
الصيغة الدولية لهذه القناة . لقد كانوا يستهدفون بخططهم جعل  
قناة السويس قناة دولية بحكم الواقع واجبار هيئة الامم المتحدة



على اتخاذ تسوية نهائية في هذا الاتجاه .

ولما تأكد بن غوريون من عزم الافرنسيين على مساعدته  
قرر الابتداء بالعمل . وتولى غي موليه نقل هذا القرار الى  
ايدن .

وهكذا وجد ايدن نفسه في موقف حرج . فقد فاجأه الخبر .  
وهو الذي كان مصمماً على ضرب اسرائيل بالقنابل فيما اذا اعتدت  
على الاردن . كما ان مثل هذا التصميم قد يحمي في نظره ،  
عبد الناصر ، وهو خصم له . لقد كان موقف الحكومة البريطانية  
في الشرق الاوسط من التعقيد بحيث كاد ايدن يعجز عن تنظيم  
افكاره . حتى اذا تدخل احد المندوبين الافرنسيين الجنرال  
شال ، ووضع يده اليسرى على سيناء التي ينتظر ان يحتلها  
الاسرائيليون ويده اليمنى على الدلتا المصرية وقال :

الاسرائيليون هنا والمصريون هنا . فاین موقفنا نحن ؟

انه هنا في القناة التي يجب ان نحميها !

اجاب ايدن : فكرة حسنة .

وفي اليوم التالي انتقل الى باريس . وحضر مؤتمراً دام خمس  
ساعات كاملة تقرر في نهايته التدخل العسكري .

لقد كان البريطانيون غير راغبين في التدخل كحلفاء لاسرائيل  
تلك كانت معضلتهم .

وبينما كان الافرنسيون يقترحون القيام بغزو ساحق سريع  
قبل توقف اطلاق النار في معركة القنال بساعات قليلة ، والذي



كان في نظرهم ممكناً سهل التحقيق بسبب وقوف الاسرائيليين على مسافة عشرة اميال من ضفة القناة، مما يجعل استخدام مدافعهم سهلاً يسيراً صرخ رئيس الوزراء البريطاني: « حسن جداً . مروا حلفاءكم الاسرائيليين بالتقدم ، بحيث نستطيع ان نقذفهم والمصريين معهم بقنابل طائراتنا القاذفة » .

وهكذا كان الافرنسيون يجدون انفسهم في موقف فريد يخوضون معركة مع حليفين متعاديين .

وبينما كان إيدن يصر على العمل كدركي في قناة السويس كان غي موليه يهيئ حملة انزال واسعة مع انبريطانيين لتحقيق احتلال كاسح .

اما هدف البريطانيين فهو هدف مزدوج النتائج فقد قصدوا من تدخلهم تقوية نفوذهم في الشرق الاوسط وقصدوا في الوقت نفسه كسب جمال عبد الناصر الذي لم يكن في نظرهم العدو الذي لا يسترضى كما هو في نظر الافرنسيين .

ولكن الافرنسيين قد استهدفوا السيطرة على القناة والقضاء على عبد الناصر ، عدوهم في الشمال الافريقي .

ففي الحطة البريطانية لا محل لاسرائيل . اما في الحطة الافرنسية فلا مانع من اشراك اسرائيل للقيام بجزء من هذه الحملة . او باجزائها كلها عند الضرورة .

اما الاسرائيليون فكانوا خصوماً لحطة الانزال في الارض المصرية كما سنرى من بعد . ولكنهم عجزوا عن اقناع الافرنسيين الذين اشتركوا في الجبهتين . بينما كان البريطانيون



مصريين على عدم الاعتراف بتعاون فرنسي يهودي . وطالما صرخ  
الجنرال ستوكول قائلاً : انني ساقطع رقبة ضابط الاتصال  
الاسرائيلي الذي يضع قدمه في قبرس .

كان تنفيذ الحطة العدوانية راجعاً في الحقيقة الى عوامل  
مختلفة . منها ان ايدن كان يعتقد بحياة اميركا حياً مشوباً  
بالعطف على خطته . وقد نشأ هذا الخطأ السيكولوجي منذ  
المحادثات الاولى التي اجراها كل من ايدن وبينو مع فوستر  
داليس بعد اعلان التأميم بصورة مباشرة . لقد اندرا وزير  
الخارجية الاميركيه بقولها : ان مصير حلف الاطلسي معلق على  
موقف اميركا من لجوء الدولتين الاوروبيتين الى استعمال القوة  
ضد مصر .

فذكرهما داليس بمصدق . ولكنهما لم يقتنعا بهذا الدفاع :  
ثم قال لهما داليس :

« مهما يكن الامر فان الضمانة الذرية لعاصمتيكما قائمة ابداً »  
وهذا ما حدث فعلاً بعد ان وجه بولغانين انذاره الذري الشهير .  
فقد حذر ايزنهاور خصمه بولغانين مؤكداً له : ان غزو باريس  
ولندن ايدان بحرب عالمية شاملة . وبقي ايدن مصراً على حسن  
ظنه بالموقف الاميركي حتى نهاية الجولة . رغم الجهود التي بذلها  
داليس لاقتناع رجلي بريطانيا وفرنسا للامتناع عن استعمال  
القوة المسلحة . هذا بالاضافة الى تأكيده من ان الولايات المتحدة  
ستزوده وتزود فرنسا بالوقود اللازم بعد اغلاق قناة السويس من  
قبل عبد الناصر .



ومن خلال هذا الموقف السيكولوجي نشأت خطة القذف بالقنابل التي كانت مستقنع المصريين بتغيير حكومتهم وإخراج رئيسهم عبد الناصر في رأي أيديون . ولكن أيديون لم يستعمل الصواريخ ذات الأثر النفسي المنتظر . لقد كان يريد الوصول إلى نتائج نفسية دون استعمال وسائلها الضرورية . ولهذا أرسل التحذير الدوري إلى رجال المطارات المصرية عن طريق إذاعة قبرس ودعي المدنيون في بور سعيد إلى إخلاء منطقة الانزال . حتى أن البور سعيديين قد احتفظوا بهدوئهم وزياراتهم التقليدية .

لقد أدرك أيديون خطأه بعد فوات الأوان ، بالنسبة لموقف الأمير كمين منه وبالنسبة إلى الخطة التي أصر على تنفيذها في معركته ضد مصر . كما أنه تجاهل تطور شخصية أيزنهاور الذي أصبح أبا السلام العطوف . وقطف سياسة اللاعنفي في العالم . أما السيد بينو فقد فاجأ الأمير كمين مفاجأة مزعجة قبل ذلك بأشهر قليلة حين هدد بالانضمام إلى الحيايين . فقام بزيارة نهر و عرج على عبد الناصر في القاهرة . فما كان من أيزنهاور إلا أن دعا إليه نهر و نفسه ليشاركه في مشاهدة أسطبلاته والأعجاب بها ثم قدم إلى عبد الناصر تأييده ومساعدته .

ولم يخطر في بال أيديون أن معركته في الشرق الأوسط ستكون بالنسبة إلى الأمير كمين المنهمكين في معركة الانتخابات قديماً في ذات أيزنهاور . كما تجاهل قوة الشركات البرولية الأميركية العربية التي لا ترضى بأية محاولة عسكرية

قد نسيء الى مصالحها الاستثمارية في البلاد العربية .  
وهكذا استطاع التعاون الاميركي الروسي ان يقضي على  
خطة الانزال منذ البداية . وبريطانية التي اعتادت ان تقبل  
الهزيمة في كل بداية لتستدرك ما فاتها في ربع الساعة الاخير  
لم تثبت بالانتصار في هذه المرة .



## كيف بدأت اسرائيل العملية البريطانية الفرنسية

كان دوي المدافع في تمام الساعة الثالثة والنصف من بعد نصف الليل في ٣١ تشرين الاول ١٩٥٦ يلقي الذعر في مدينة حيفا . فالسما تضطرب . والصفارات تنوح والنساء يدفعن أطفالهن الى الملاجئ والخنادق المحفورة في امكنة مختلفة من المدينة . ولكن سطوح المنازل قد امتلأت ايضاً بالفضوليين ممن ايقظهم الدوي ليتعرفوا الى مصدره ؟

الكل يتساءلون عن مصدر هذه الانفجارات . وقد اتبع سكان جبل الكرمل ان يشهدوا نيران قذف المدفعية في الافق البعيد . ولكن واحدة من القنابل لم تسقط في وسط المدينة .

كان القلق الثقيل والخوف الرعب يخيمان في ارجاء المرفأ وبقية اجزاء البلاد الاسرائيلية . لقد كانت مدن اسرائيل على

موعد مع الموت . وكان الجميع ينتظرون ردة عبد الناصر  
ومجيء طائرات ميغ واليوشن التي تحتاج الى طيران عشرين  
دقيقة للوصول الى وسط اسرائيل وذلك بعد ان مر يومان على  
اجتياز مدرعات الجنرال موشى دايان للحدود الاسرائيلية  
المصرية .

وكانت طائرات نفثة كثيرة تحمل العلم المثلث الالوان تلاً  
سماء اسرائيل لتحميها من العدوان المنتظر . وفي شوارع حيفا  
سيارات كثيرة تحمل في احشائها شباناً غرباء بشباب مدنية .  
انهم الطيارون الافرنسيون الذين منعت الصحف الاسرائيلية  
من الاشارة اليهم .

كانت المدينة خالية من الرجال والشبان . كما أخلتها نساء  
وفتيات كثيرات . لقد صدر الأمر بتجنيد سري سريع منذ  
٢٥ تشرين الاول بحيث ان ربع السكان المدنيين قد جمعوا في  
معسكرات التجنيد .

وفي مساء امس كانت ثلاث قطع بحرية مجهولة الجنسية  
تذرع البحر جيئة وذهاباً وتصوب مدافعها الى السماء . فسرت  
قشعريرة الخوف في نفوس الناس وظنوا انها قطع روسية وان  
الطائرات المصرية لن تلبث حتى تأتي لضرب مدينتهم بالتعاون  
مع هذه القطع .

ولكن ما حدث بعد ذلك كان غير ما يظنون . فقد انطلق  
السكان الى ارضة المرفأ ليشهدوا سفينة مصرية صغيرة نسبياً  
تجرها سفينة جر اسرائيلية ومن ورائها طراد يحمل العلم



الافرنسي . ظهر بعلاقة وكأنة يهدد الشواطىء الفلسطينية .  
اما هذا الطراد الضخم فيدعى « كيرسانت » .

ثم اعلن النبأ بصورة رسمية وظهرت التفاصيل . وخلصتها  
ان السفينة المصرية الحربية « ابراهيم الاول » قد خاضت معركة  
غير متكافئة مع سفن اسرائيلية متعددة تساعدها طائرات  
« ميستير » الافرنسية . وقد دامت المعركة نصف ساعة عجزت  
بعدها السفينة المصرية عن متابعة اطلاق النار بسبب الثقوب  
الكثيرة التي اصابته دروعها في المقدمة والجوانب .

والحق ان النبأ الرسمي لم يكن صحيحاً . فقد كان هذا  
الانتصار الاسرائيلي بفضل تدخل القوات الافرنسية وعونها  
الفعال . ولكن المصلحة كانت تقضي بابقاء هذا العون في  
طبي الحفاء .

كانت السفينة الفرنسية « كيرسانت » وشقيقتها « سوركوف  
وبرفا » قد ارسلت في مهمة خاصة الى شواطىء اسرائيل .  
والمهمة هذه خطيرة جداً ندر كما تمام الادراك حين نعلم ان  
هذه السفن هي اول سفن ذرية الحقت بالاسطول الفرنسي . انها  
تستطيع بفضل الخطط التكنيكية الحديثة ان تمخر عباب بحر  
ملوث بالاشعاعات الذرية وان تنظف نفسها من هذه الاشعاعات  
كما انها مدرعة تدريباً مزدوجاً يتيح لها مزيداً من المقاومة  
ومزيداً من قوة الضرب والهجوم .

لقد تلقت هذه السفن امراً سرياً خلال اليوم التاسع والعشرين

من تشرين الاول لحماية الموانئ الاسرائيلية ضد غزو مصري محتمل . ولم يكن الانذار الفرنسي البريطاني قد وجه بعد الى الفريقين المتقاتلين . وكانت المبادرة هذه مبادرة فرنسية بحجة . هذا بالاضافة الى مجموعات ثلاث من الطائرات النفثة المطاردة والمطاردة القاذفة حطت في مطار اللد لتقي شاطئ اسرائيل الهزبل وارضها المكشوفة .

كانت السفن الافرنسية تقوم بجولات استكشافية في البحر الاسرائيلي حينما جاءها النبا باقتراب اسطول مصري صغير . ولكنها لم تجد امامها غير سفن شراعية صغيرة وقطع تابعة للاسطول الاميركي السادس التي اتت الى الشاطئ لتحمل الجالية الاميركية وتجليها عن البر الاسرائيلي . لقد كانت اقتراب الاسطول المصري الصغير في طي الحفاء وبجذر شديد .

والتحقت كورسوف وبوفا باسطول الافرنسيين والبريطانيين في قبرس بعد ان يش الجميع من مجيء طائرات او سفن مصرية .

وفجأة سمع دوي المدافع واخترقت النيران حجب الليل الدامس . فوجدت كيوسانت نفسها عرضة لنيران كتيبة . فاتخذت موقف القتال بالسرعة اللازمة وانطلقت ترسل قذائفها الى مصدر النار .

كانت القنابل الافرنسية تتجمع شيئاً فشيئاً وتقترب من الهدف . ثم انطلقت طائرة ( مينتور ) اسرائيلية فوجهت قذائفها الصاروخية الى السفينة المصرية فاصابتها اصابة بالغة .



وبعد ذلك بدقائق قليلة حملت موجات الراديو رغبة السفينة المصرية في الاستسلام . وكشفت عن هويتها واسمها فاذا بها السفينة المصرية « ابراهيم الاول » .

ولم يكد نظر قائد السفينة كيرسانت يقع على شبحها في الليل حتى ادرك انها احد الطرادين البريطانيين اللذين بناهما البريطانيون سنة ١٩٤٠م وباعوهما الى الملك فاروق سنة ١٩٥١ : الوزن ١٠٠٠ طن والطول ٥٥ متراً ..

ثم انضح شبح السفينة المصرية اكثر فاكثر بعد ان افبلج الفجر . وقد رفع فوق سارينها علم ابيض .

لقد اصبحت السفينة المصرية مثلاً مزرعاً . ولم يكن استسلامها الا بعد اصابتها اصابة عنيفة مميتة . لقد اصيب فيها مركز القيادة . وكانت حصيلة الحسارة ثمانية قتلى وعدداً كبيراً من الجرحى .

أرسلت السفينة « كيرسانت » تقريرها الى الاميرالية « بالشفرة » فاجابتها الاميرالية :

— تهانينا . والمطلوب هو الصمت !

كانت فرصة الجواب على الانذار الموجه الى مصر منتهية في تمام الساعة الرابعة من صباح ٣١ تشرين الاول ، ولكن الرئيس البريطاني ابي الا التأجيل في بداية التدخل وحدده في تمام الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر هذا النهار .

وهناك سر آخر احاط بطائرات « الميستير » الفرنسية التي كانت تقدم الى الجيش الاسرائيلي في سبئاء عوناً فعالاً في

معركة تتيح للبريطانيين والفرنسيين فرصة طالما تمنوها للنزول في ارض القناة .

ومرت فترة وجيزة بعد استسلام الطراد المصري فاقبل قاذف طوربيد اسرائيلي وجرارة بحرية اسرائيلية كانت السفينة كيوسانت تنتظرهما لتسلمهما الفريسة غنيمة باردة .

وبينا كان الاسرائيليون يتهيأون بفرح الاطفال لاستلام الجثة البحرية كانت قيادة السفينة الافرنسية تقول لهم بالانوار وموجات الراديو : « انكم انتم الذين قضيتم على السفينة المصرية فلا علاقة لنا بها ابداً » .

ودخلت السفينة المصرية مرفأ حيفا يواكبها مع ذلك مركب صغير تابع لكيوسانت دون ان يلحظه احد من الناس لولا ان ضابطاً من ضباط البحرية كان يجتاز الرصيف فاكشف هوية المركب الصغير وقال : « ولكن هذا مركب فرنسي » .. فصرخ الجمهور :

— تعيش فرنسا !

وفي اليوم التالي ابصر الطراد « جورج ليج » الى شواطئ سيناء من قاعدته في قبرص للقيام بقذف هجومي فعال في هذه المرة .

واطلق الطراد الفرنسي اربعةماية من قذائفه الضخمة على تحصينات المصريين في رفح . هذه التحصينات التي كانت ستؤخر تقدم سيارات الجنرال لاسكوف نحو قناة السويس . فدمرت هذه التحصينات او اضعفت مقاومتها بحيث اضطر المصريون



الى التراجع او الاستسلام .

وفي اليوم الذي يليه جاء المراسلون الافرنسيون الملحقون بالقوات العسكرية يزورون قاعدة « تيمبو » الجوية في قبرس حيث تجمع عدد وافر من جنود القفز بالمظلات . وفي ارض القاعدة اربعون من احدث واروع طائرات القفز قد وصلت امس الى قبرس مروراً بميناء بونديزي حيث اظهرت ايطاليا استياءها من هذا العمل خوفاً من ان تظهر شريكة الافرنسيين والبريطانيين في حملتهم على مصر . والملاحظ ان في وسع هذه الطائرات ان تطير مسافة اطول من سابقاتها وان تحمل كل منها ٣٥ رجلاً بالاضافة الى سيارة شحن او سيارة جيب مسلحة بمدفع ورشاش . هذا بالاضافة الى الاجهزة الدقيقة الرائعة التي تسهل عملية القذف مع ما تقتضيه من ترتيبات وجهود معقدة .

وقد اعلن قائد فرقة المظليين بفخر واعتزاز ان طائراته لم تكد تصل الى ارض قبرس حتى دخلت المعركة على اوسع نطاق . فحملت الى الاسرائيليين في سيناء خزانات الماء ومستودعات الوقود الصغيرة التي اتاحت لهم قدرة فعالة على متابعة الغزو والاسراع في تحقيق اهدافه . ومنع المراسلون منعاً باتاً من الاشارة الى هذه المساعدات الجوية . لقد كانت المراقبة دقيقة حذرة فحالت دون وصول اخبار التعاون الجدي بين الحلفاء والاسرائيليين الذين كانوا يفتحون لهم ابواب القناة .

وكم كانت دهشة المراسلين عظيمة حين انتقلوا بعد ساعة

فقط الى مؤتمر صحفي في مكتب معلومات الحلفاء في نيقوسيا واستمعوا الى التكذيبات التي اطلقها ناطق عسكري بريطاني امام صحفيين بريطانيين حين ألحوا عليه باسئلة عما يقال بشأن التعاون العسكري مع اسرائيل .

فاعلن قائلاً بحزم :

— « لا تعاون مطلقاً بين الجيش الاسرائيلي وقوات حملة

الحلفاء . »

فعقب احد المراسلين : « ليس التعاون شيئاً ممكن الوقوع

فقط . بل هو الزامي . »

وكان كينلي القائد الاعلى لقوات الحلفاء يؤكد في كل

مناسبة الا علاقة مطلقاً بين اسرائيل والحلفاء .

والواقع ان القائد الاعلى البريطاني كان صادقاً . انه لم

يكن يعرف شيئاً عن الحقيقة . ومهما يكن من الغرابة في هذا

الامر فان البريطانيين لم يكونوا على علم بالمساعدات الفرنسية

التي كانت تقدم الى اسرائيل من جزيرة قبرس .

وكان عدد الضباط الافرنسيين الذين يعرفون سر هذه

المساعدات احد عشر فقط . وقد قررت هذه المساعدات بعيداً

عن قيادة الحلفاء في مكتب وزير الدفاع الافرنسي في

باريس .

انه من المستحيل ان يبقى القائد الاعلى ، سيد قبرس

والاجواء التي تحيط بها ، في جهل مطبق باهداف الطائرات التي

كانت تغلق من مطارات تيمبو في قبرس قبيل عمليات الانزال :



لقد كان يتلقى التقارير العسكرية من أجهزة الرادار .  
ومع ذلك فقد أعلن إيدن وسط الضجة المستنكرة التي  
ارتفعت في مجلس العموم ، ان الهجوم الاسرائيلي كان مفاجأة  
غير منتظرة للحكومة البريطانية .

اما الافرنسيون فقد كانت تكذبياتهم منصبة على ما  
ذكرته الانباء من قذفهم للمصريين في منطقة غزة وصحراء  
سيناء . وهي تكذبيات تحمل في طياتها كثيراً من المعاني وقليلاً  
من الصدق .

ولم يتحدث إيدن عن العون الدفاعي الذي يحتمل تقديمه الى  
اسرائيل ضد اية محاولة مصرية بطائراتها « الميغ والايليوشن » .  
ولكن رجوع بعض المجموعات من الطائرات الافرنسية الى  
قواعدها في فرنسا حول العشرين من شهر تشرين الثاني قد خلق  
في الصحف البريطانية حملة عنيفة ضد انطوني إيدن .

وقد أسر بعض الطيارين لمراسل روتر بجزر اشترأكه في  
دوريات عسكرية فوق سيناء قبل بداية تدخل الحلفاء . وأعلن  
البعض الآخر اشترأكه في قذف الطوابير المصرية المدرعة .

أما مراسل الديلي اكسبرس فقد قام بتحقيق صحفي مع  
ضباط من قاعدة ديجون كانوا قد رجعوا حديثاً من تل أبيب  
وحيفا في العشرين من تشرين الثاني . فأخبروه ان من كان منهم  
في قاعدة تل أبيب كان يلبس الثوب العسكري ، اما الذين كانوا  
في حيفا فقد كانوا بشيا ب مدنية . وانهم كانوا يشاركون في القيام  
بدوريات تغطية فوق المدن الاسرائيلية ، ودوريات استطلاع

فوق الحدود السورية والاردنية .

واعترف ضباط آخرون أنهم كانوا يطلقون مدافعهم الرشاشة على جنود ودبابات مصرية خلال الايام الستة التي سبقت عملية الانزال . وافتخر بعضهم بأنه أصاب طائرات مصرية من طراز ايليوشن كانت لاجئة الى الأقصر . لقد كشف هذا الاعتراف عن أشياء كثيرة . فالمعروف ان عشرين قاذفة نفثة يقودها طيارون سوفياتيون قد هربت من مطارات منطقة الدلتا التي تعرضت لضرب شديد ، الى مناطق الجنوب لكي تكون بعيداً عن متناول المطاردات - القاذفة الفرنسية والبريطانية .

وفي ٢١ تشرين الثاني جاء سكرتير الدولة للقوات الجوية الفرنسية السيد لافورست ينيء العسكريين الراجعين الى قواعدهم في ديجون وقال لهم امام الصحفيين : « لقد صفق الوطن كثيراً لاعمالكم الماجدة ، ولكنه لن يعترف بها كلها . »

ومع ذلك فان وزارة الدفاع قد كذبت في اليوم التالي ما قيل من أن قوات فرنسية قد شاركت في القتال الى جانب القوات الاسرائيلية .

ولكن هذه التكذيبات لم تحل دون تسرب خبر وجود الطائرات الفرنسية في أرض اسرائيل وقيامها بدور كلب الحراسة فوق مدن الدولة الهزيلة التي كانت مهددة بالزوال والابادة ؛ ثم هجماتها المتكررة على أهداف في الجنوب المصري ومرافقتها للقوات الاسرائيلية المعتدية .

وهناك بلاغ آخر يعلن عن وجود هيئة صيانة فرنسية



أرسلت للإشراف على طائرات « مبيستير » التي تسلمتها اسرائيل من فرنسا .

فالتأبث ان فرنسا قد سلمت اسرائيل ٢٤ طائرة مطاردة من طراز مبيستير خلال شهر آب المنصرم ثم أعقبتها بعدد آخر لا يقل عن العدد السابق . ولم تكذب قيادة قبرس هذا النبأ .

ولكن عناد الحكومة والقيادة البريطانيين في انكار حوادث يستحيل اخفاؤها قد أثار في واشنطن ، وهيئة الأمم المتحدة ، وبريطانيا العظمى نفسها ، بين المعارضين المتطرفين لحملة التدخل هذه - ومن بينهم عدد من النواب المحافظين وأعضاء حكومة ايدن ثم الصحف الاميركية ونسبة كبرى من الصحف البريطانية المستقلة - حملة شعواء لا هوادة فيها ، واتهاماً غنياً للسيد ايدن ومن ورائه الحكومة الفرنسية بالذات .

لقد كانت الفاظ « مؤامرة وتدبيرات مخجلة » ارفق ما استعمله هؤلاء المعارضون من كلمات لفضح الاتفاق السري بين الحليفين الغربيين واسرائيل .

وانهم غي موليه وايدن بصورة خاصة بأنهما قد نظما هذا الهجوم الاسرائيلي واصطنعاه ليجعلا منه مبرراً للقيام بدور بوليسي في القناة .

وهل يعقل ان يكون رئيسا الحكومتين الغربيتين جاهلين بحقيقة نيات اسرائيل ثم تنهيا لهما الاسباب والظروف بحيث يستطيعان ان يرسلوا الى مصر اسطولاً ضخماً من الطرادات والكلابكات وحاملات الجنود والطائرات المقاتلة والقاذفة ، ثم

القاذفة للجنود ؟

ان الحوادث كلها تثبت عكس ما يزعمان .

لقد أعلنت حكومتا باريس ولندن في مناسبات مختلفة ، بعد صدور قرار التأميم ، عن عزمهما على استعمال القوة واللجوء الى السلاح بعد فشل الوسائل السلمية . وكان قرار اسرائيل في مهاجمة مصر فرصة ذهبية استغلتها الحكومتان كل على طريقتهما الخاصة لتنفيذ ما كانتا تحلمان بتحقيقه من استرجاع نفوذهما في القناة .

هذا ما آمن به الرأي العام في كل من فرنسا وبريطانيا . وليس شيء غير ذلك .

والمؤسف ان المبرر القانوني الذي تقدم به السيد انطوني ايدن الى مجلس العموم واعلن به الانذار الذي وجهه الى كل من مصر واسرائيل بالتعاجز على مسافة عشرة أميال من ضفتي قناة السويس ، كان مبرراً معقداً ظاهر التحيز كما كان مصدراً لمفاجأة غير سارة .

نعم لقد كان ايدن صادقاً فيما يقول ، ولكن قبل ذلك الوقت بأسبوعين . وفي الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه أعلن غي موليه أمام المجلس الوطني الفرنسي وبعد رجوعه من لندن ، ما أعلنه ايدن خلال النهار . ثم أضاف الى ما زعمه من وجود الفرصة المناسبة التي أتاحتها اسرائيل ، والخطر الداهم على الملاحة في القناة ، الاسباب الاخرى التي كانت تدفع بالفرنسيين الى تصفية خلافهم مع عبد الناصر في مصر بعد قرار التأميم .



لقد حاول الرئيس البريطاني ان يبرز حياده التام في النزاع الاسرائيلي المصري. فكانت محاولته الفاشلة هذه سبباً في توكيد تحيزه وسبباً آخر في الحيلولة دون نجاح الحملة العسكرية - كما سنرى فيما بعد .

انه لمؤسف حقاً ان يكون السيد ايدن قد استغنى عن موقف الدفاع عن النفس ليتخذ موقف الشرطي الذي ينتهز فرصة نزاع يسترد به بعض ما أضاعه من المتاع .

لقد كان يقدم الى الرأي العام الدولي تبريراً لهجومه على مصر فكانت حجته في تبرير تدخله أشد إثارة للرأي العام الدولي من تدخله بالذات .

لقد طلب ايدن الى المتقاتلين ان يتعاجزوا على بعد عشرة أميال من قناة السويس . أي أنه طلب من مصر ان تتنازل عن حقوقها المشروعة في الدفاع عن سيناء وتقوية مواقعها العسكرية فيها والتنازل عن ١٧٠ كيلو متراً من الاراضي المصرية ، وترك قواتها المتخلفة في السويس تحت رحمة العدوان الاسرائيلي . وقدم في الوقت نفسه الى اسرائيل ١٥٠ كيلومتراً من الاراضي المصرية غنيمة باردة تتصرف بها كما تشاء .

وكان من نتائج هذا الانذار المتحيز المفصوح أنه تعذر على الحلفاء بعد ذلك بقليل ، ومن الناحية الادبية البحتة ، أن ينجدوا القوات الاسرائيلية التي كانت قد بلغت الضفة الشرقية من القناة . ولو انهم فعلوا لحققوا شيئاً غير الذي حققوه . فقد اقترح ضباط الارتباط الاسرائيليون على الحلفاء ان يحتلوا القنطرة بعد ان

استولى مظلبيهم على جسر جنوبي بور سعيد وان لم يعد بين الجيش الاسرائيلي والقنطرة غير رمية سهم واحدة .

ولكن الحلفاء الذين كانوا يخبثون وراء أصبعهم ويتظاهرون بالحياد التام بين الفريقين المتقاتلين قد أهملوا هذه الفرصة أيضاً باسم ما زعموه من ضرورة العدل بين الفريقين وهم الذين انتهكوا كل شريعة وعدالة حين منحوا اسرائيل بانذارهم ما لا يقل عن ١٧٠ كيلو متراً من أرض مصر .

في هذه الاثناء ، لم تكن الصحافة الفرنسية تظهر أي اهتمام لما يستهدفه السيد ايدن من عدم التحيز الظاهري لاسرائيل أو التعاون معها في عملية عدوانية مشتركة .

وفي صبيحة اليوم الذي انتهت فيه مدة الانذار ، أعلنت الصحافة الفرنسية عن حصول إنزال للجنود بصورة مباشرة ، بما لم يكن يتفق مع ما زعمه ايدن في مجلس العموم من أنه فوجيء بالعدوان الاسرائيلي على مصر .

ولم يدرك الرأي العام الفرنسي معنى التحايل القانوني الذي خرج به ايدن الى العالم الا بعد ان انفجر الرأي العام الدولي واثارت تائرة هيئة الامم المتحدة .

كان البعض في فرنسا وبريطانيا يتساءلون ... وابن وجه الغرابة في ان تتحالف فرنسا وبريطانيا مع اسرائيل لمقاتلة رجل بدأ يهدد كلاً منها بخطر داهم ؟

لقد خسرت فرنسا صفقتها الدولية الاسلامية ، وهي التي تملك من المصالح في شمالي أفريقيا وغيره ، شيئاً كثيراً جداً ،



بعد ان انفجرت أمامها سلسلة من المعارك والحروب الضارية بسبب يقظة الشعور القومي عند العرب المسلمين ، بحيث انها فقدت صداقة هؤلاء واستعدادهم للتعاون معها . فغضبت واثرت ووقفت من الجزائر الموقف الذي يعرفه العالم . لقد أعلن عبد الناصر عليها حرباً عملية بما يرسله من اسلحة ويجهزه من معسكرات التدريب للمناضلين الجزائريين ، وما يمنحه من التشجيع المعنوي للارهابيين . لقد أصبح موقفه موقف المحارب .

وهكذا كان الواقعيون من الفرنسيين يتساءلون ... وما هي الفائدة من الوقوف موقف الجهاد الظاهري من النزاع الاسرائيلي المصري وقد كادت فرنسا تشرف على الهلاك بسبب قناة السويس ؟

لقد أصبح الرأي العام الفرنسي راضياً عن فكرة التدخل بالقوة منذ شهر آب المنصرم ، مع العلم ان في هذا التدخل أخطاراً كثيرة . فقد يغلق عبد الناصر القناة فيحول دون وصول الوقود الى فرنسا ، وقد يفقد الفرنسيون ممتلكاتهم في مصر وهي لا تقل عن ٤٠٠ مليار فرنك ، وقد يفقد المساهمون حقوقهم في التعويض عن أسهمهم في شركة القناة ، أو تتعقد عملية التعويض بعد أن أعلن عبد الناصر استعداده لدفع أثمان هذه الأسهم . ومع هذا كله فقد تغلبت فكرة التدخل وزاد أنصارها زيادة كبيرة جداً .

وهناك شيء آخر لا يقل أهمية عما سبق . فمصر المتطورة

كهم ، تتكلم الفرنسية . والمدارس الفرنسية العلمانية أو الدينية  
ستقبل أبناء النخبة من المسلمين فتعلمهم . حتى أن وزراء  
عبد الناصر يرسلون أبناءهم الى الكليات الفرنسية . أما الصحف  
النافذة في مصر فهي التي تحرر باللغة الفرنسية . هذا كله قد  
يتعرض لخطر الفناء . ولكن الغزاء عنه أنه لا يمكن أن يزول  
بالسرعة التي تزول بها عهود سياسية خاصة . فننقذ اللغة والفكر  
بعيد الجذور عميق الاثر والقضاء عليه في حاجة الى أجيال كثيرة .  
هذا كله قد جال في خاطر المعارضين لعملية التدخل . أما  
أنصار التدخل فقد اكدوا ليلة عملية الانزال أن هذه المصالح  
كلها ستستنقذ مرة واحدة فيما اذا نجحت الحملة في القضاء على  
عبد الناصر . وهكذا تتنفس أوروبا الصعداء ، ويعود السلم الى  
ربوع الشرق الأوسط ، وتنتهي المأساة . أما معضلة القناة فتجد  
حلاً في تعويض عادل أو في عودة الى ادارة القناة مرة اخرى .  
وبعد اجراء حساب دقيق ومعادلات طويلة بين الربح  
والخسارة تغلب أنصار التدخل على معارضيهِ .  
ولكن الصمت الذي أحاط بالحملة لأسباب استراتيجية بحتة  
قد سبب نكبة سياسية . فلم يعرف هذا الصمت أية أهمية  
للضرورات السيكلوجية في الحرب الحديثة التي هي قبل كل  
شيء حرب دعاية .  
إن هناك أسباباً منطقية خاصة لهذه السرية التي أحيطت بها  
عملية التدخل ، هذه العملية التي ظهرت من بعد أمام الراي  
العام ، جريمة حيكت في الخفاء .

لقد وجدت الحكومة الفرنسية نفسها ، ليلة التدخل في  
المعركة ، في موقف حرج . لقد كانت بين حليفين يتجاهل كل  
مهما الآخر .

درس موليه مع أميركا وبريطانيا عملية التدخل هذه . ولما  
وقفت أميركا منها موقف الحصومة الشديدة هيا الحملة بالتعاون  
مع ايدن فقط .

وفجأة أعلنت إسرائيل لباريس عن عزمها على القيام بهجوم  
على مصر لحسابها الخاص في أواسط تشرين الاول بعد أن كانت  
قد وافقت على تأميم القناة .

فتبنت فرنسا هذا الحليف الجديد ، ورفضت بريطانيا ،  
حليفة الدول العربية ، أن تعترف به . فإسرائيل بالنسبة الى  
ايدن ، الذي أسس جامعة الدول العربية ، ما تزال الدولة  
العدوة ، التي كان ايدن نفسه يهدد بضررها بالقنابل قبيل ذلك  
بقليل في حالة اعتدائها على المملكة الاردنية أو العراق .

وهكذا كانت فرنسا تعدّ معركتين في الوقت نفسه ضد  
عبد الناصر ، مستندة الى حليفين متحازين بل متعادين .

لقد كانت لأيدن حجج قوية في عدم التعاون مع إسرائيل .  
أما فرنسا فلم يكن لها شيء من ذلك . فبريطانيا لا تملك الجزائر ،  
وأسباب تدخلها في المعركة ليست هي أسباب التدخل الفرنسي ،  
والقناة بالنسبة اليها شريان الحياة كما هي بالنسبة الى فرنسا ، يضاف  
الى ذلك انها الطريق الرئيسي لبلدان الكومنولث . وقد جرت  
العادة ان ينظر الى الكومنولث على انه عزاء لقلب التاج



البريطاني او انه تجمع مثالي نموذجي . انه بصورة خاصة سوق مشتركة او جمعية للتجار . فالسيد نهرو لا يرى في الملكة اليزابت الثانية ملكة عليه ولكن بريطانيا مدينة لبلاده . اما التجارة فقد بقيت بين ايدي الشركات البريطانية . فاغلاق القناة في وجه بريطانيا قطع لعلاقتها الحيوية مع امبراطوريتها القديمة في الهند وسلسلة مخازنها التي انشأتها هناك وحرمان لها من مطاط ماليزيا وابعادها عن استراليا وهونغ كونغ .

ان خمسة عشر من يوماً الملاحه تضاف الى الزمن الذي تستغرقه الرحلة الى بريطانيا بعد ان تضطر السفن الى الدوران حول رأس الرجاء الصالح هو في لغة المال زيادة شديدة في تعرفات التصدير ، وقضاء على التوازن التجاري الدقيق ، وابعاد مفاجيء للأسواق البعيدة بما لا يقل عن ٧٠٠٠ كيلو متر بحيث تصبح هذه الاسواق بعيدة عن التناول .

ومع ذلك فان ضرورة الاحتفاظ بحرية الملاحة في القناة لا تستطيع ان تدفع ببريطانيا الى قطع علاقاتها الودية بالدول العربية . وانها تحتفظ في العراق بنبعها البترولي الرئيسي . اما الاردن فقد كانت الى قبيل اخراج غلوب باشا في شباط ١٩٥٦ بلداً تدور في فلكها . ومواقع البريطانيين في الشرق الاوسط كله كثيرة جداً . فلندن بالنسبة الى هذه المنطقة من العالم هي الحزاة المركزية ، ومدينة المصارف وقاعدة شركات التأمين والعاصمة التي يأتيها ابناء الاقطاعيين من اصحاب العمائم يدرسون فيها ويلبسون .

وهناك محالفات بين بريطانيا والعراق والاردن حتى ومصر  
نفسها . فاذا انفجرت حرب ضد هذه البلدان - باستثناء  
اسرائيل - فان لجيوش بريطانيا الحق في الرجوع الى اراضي  
هذه البلدان الثلاثة للدفاع عنها . فاذا أصبحت حليفة لاسرائيل  
فقد فقدت حقها في هذه المحالفات واستغنت عن هذا الجهاز  
المزبل ، الذي يصلح للاستعمال في الوقت نفسه ، وعن النفوذ  
الذي تحتفظ به في الشرق الاوسط كله . ولهذا كانت محطة  
الشرق الادنى في قبرس حتى ليلة الانذار تهاجم اسرائيل بعنف  
وتقف منها موقف الحصومة الشديدة .

ولكن الاحداث لم تلبث أن وضعت بريطانيا في مأزق  
حرج للغاية .

لقد اخفت باريس علاقاتها الحقيقية مع الدولة اليهودية خلال  
أشهر طويلة بسبب تعاونها مع بريطانيا . وها هو ناطق اسرائيلي  
يعرض الحوادث من خلال وجهة النظر الاسرائيلية .  
قلنا له : مهما يكن الامر فان محادثات بين باريس وتل ابيب  
قد بدأت منذ ٢٦ تموز .

فاجاب : ومن أين تريد ان تشتري الاسلحة ؟ هل نجدها  
في دكان البقالة ؟ لقد طلبنا من فرنسا وكندا منذ سنتين  
او ثلاث سنوات طائرات نافورية ولكن باريس واوتواوالم توافقا  
على تسليمنا هذه الطائرات .

لقد كانت فرنسا مرتبطة بالتصريح الثلاثي الصادر في  
١٩٥٠ والذي يفرض على كل من اميركا وبريطانيا وفرنسا

النشاور المشترك في حالة وجود نزاع في الشرق الاوسط  
وتحقيق التوازن في التسليح بين اسرائيل والعرب .

وقد تألفت هذه الغاية هيئة دولية تشرف على ارسال  
الاسلحة الى الفريقين . وبقي هذا التوازن قائماً حتى تدفقت الاسلحة  
السوفياتية في الربيع السابق على مصر . فتسلم عبد الناصر ١١٠  
طائرات ميغ - ١٥ - مطاردة من طائرات الحرب الكورية ،  
وعددًا من طائرات ميغ - ١٧ - المزودة باجهزة اليكترونية  
وبقوة ضرب فائقة . و ٤٠ قاذفة للقنابل من طراز ايليوشن  
- ٢٨ - اي اكثر من ١٥٠ طائرة حديثة بالاضافة الى الطائرات  
النفثة القديمة التي كانت تملكها مصر .

أما نحن الاسرائيليين فقد شعرنا بالضياع . لقد كنا نملك  
طائرات « أوراغان » قديمة . وتنقصنا الطائرات الحديثة التي  
تستطيع مقابلة طائرات الميغ وايليوشن .

وبعد أن قمنا بمحاولات جديدة وافقت فرنسا على تزويدنا  
بالاسلحة الحديثة لاسيما وأنه لم يكن من مصلحتها الدفاع عن  
عبد الناصر أو تسهيل انتصاره على اسرائيل .

ولم تكتف فرنسا بتزويدنا بطائرات المطاردة بل زودتنا  
أيضاً بسيارات مدرعة سريعة « ا - م - اكس » ومدافع  
مضادة للدبابات ومدافع أخرى قياس - ٧٥ - وبطاريات  
مقاومة للطائرات ، وأجهزة لاسلكية الخ ..

وتابع الناطق الاسرائيلي قائلاً: وفي أيلول من السنة نفسها ،  
نام مشروع التدخل الفرنسي . ولكن الاحداث تتابعبت عنيفة



بالنسبة الى اسرائيل . فقد توجهت سوريا الى روسيا لتتسلم منها  
أسلحة كنتلك التي تلقتها مصر . وفي الخامس من أيلول عقد مؤتمر  
عسكري في الرياض بين مصر ولبنان والعربية السعودية والاردن  
ف فشل . ولكن الحلف الثلاثي المصري السوري الاردني لم يلبث  
بعد أسابيع قليلة حتى أصبح حقيقة واقعة . وقد كان من المنتظر  
ان توقع وثائقه في ٢٨ تشرين الأول .

و وهنا كانت نهاية آمالنا في تحقيق تفاهم مع مصر التي كنا  
نعارض حلف بغداد في سبيل إرضائها ( كذا ) ثم اعترفنا بتأميم  
القناة . وعندما شعرنا بقرب انهيار مقاومتنا المالية والعسكرية  
وعجزنا عن متابعة تحمل الخوف الرابع الذي يغزونا من كل  
ناحية صممنا على الحرب .

و العالم كله يتحدث عن اسرائيل . ولكن هذا العالم لا  
يعرف أننا دولة ميكروسكوبية هزيلة . وأن عدد سكان دولتنا  
لا يزيد عن عدد سكان ستة أحياء من أحياء باريس العشرين . وأن  
جيشنا هو أقل عدة وعدداً من شرطة نيويورك . وأن حقولنا  
هي من الضيق بحيث اضطررنا الى زرع قمحنا في بورما ، حيث  
جففنا مستنقعات كثيرة لتحقيق هذه الغاية .

وإن أمن اسرائيل وهم مجنون . ولكن حكومتنا لا تستطيع  
أن تسمح للشعب بادراك هذه الحقيقة . فالجميع عند ذلك يصابون  
بالجنون . إنه لا يوجد بيت اسرائيلي ليس في متناول قذائف  
مدفع من المدافع العربية . فنحن في حالة حرب دائمة نحرث  
ونعمل ونبني والسلاح معلق في اكثافنا .

« وهناك عامل آخر يجهله الاجنبي . فنحن نفقد الاحتياطي البشري اللازم . لأن الهجرة اليهودية في حاجة الى مجهودات طويلة لدمج المهاجرين بالمجتمع الاسرائيلي . والرقيب عندنا في الجيش ثروة ، أما الزعيم فهو كنز نادر .

« لقد كلفتنا معركة ١٩٤٨ خسارة كبيرة . وفي رأبي أننا سنزول حين نخوض معركة جديدة .

« لذلك ، رأت حكومتنا ان قيامنا بهجوم على مصر قد يكلفنا بعضاً من الحسائر ولكنه يبعدنا عن ساعة الاحتضار بضع سنوات نستمتع فيها بسلم وقتي .

« وبفضل فرنسا تسلمنا اسلحة كثيرة . فلا معنى للتردد .

« في هذا اليوم أعلن بن غوريون في خطاب له :

— وأخيراً لقد كسبنا حليفاً حقيقياً .

فأل السفير الاميركي : ومن هو هذا الحليف ؟

فبقي سؤاله دون جواب .

وتابع الناطق الاسرائيلي قائلاً :

« أما السيد ايدن الذي كان يفكر طويلاً في الثأر من

عبد الناصر فقد قرر ان يحول دون وصول عبد الناصر الى مركز القيادة للدول العربية . فاصطدم به في الاردن .

« كانت الانتخابات النيابية قريبة على الابواب في بلد

فقير كان قد أنشأه الملك عبد الله الذي اغتيل في مدينة

القدس . وقد تمت رغبته بمساعدة الفرقة العربية التي

كان يقودها غلوب باشا . وكان صديقاً حقيقياً للبريطانيين .

وعلى كل فان الاردن مدين بوجوده للبريطانيين أنفسهم . لان ميزانية الدولة الاساسية كانت تدفع من خزينة بريطانيا . ثم اكتسح ٤٠٠،٠٠٠ من اللاجئين الفلسطينيين حدود هذه الدولة . واقتنع ضباط الفرقة العربية بخطة عبد الناصر فبدأوا باخراج غلوب باشا . واطهروا استعدادهم لاجراج الملك حسين الذي كان يعتبر في نظرهم صديقاً للبريطانيين .

» ثم انتقل عبد الناصر الى مرحلة جديدة تقدم فيها باقتراح لتحقيق حلف عسكري بينه وبين سوريا والاردن . فبدأت من ثم مباراة في تزويد الاردن بالمساعدات بين مصر والعراق . ودخلت فرقة عسكرية عراقية ، غايتها الدفاع عن عرش الحسين ضد خصومه من بعض ضباط الجيش الاردني . لكن موقف هذه الفرقة العراقية من اسرائيل كان أشد عداوة من موقف مصر واعدود عليها بالضرر الفادح . »

وفي الوقت نفسه اعلن ايدن عن مشروع لعقد صلح نهائي بين اسرائيل والعرب بعد الرجوع الى قرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ . وألح الى امكانية استعمال القوة ضد اسرائيل .

فثارت تائراً اسرائيل .

ورأت ان دخول الفرقة العراقية الى الاردن ايذان بحرب ضدها .

ولكن الحوادث لم تلبث أن اسفرت عن انتصار عبد الناصر في الاستفتاء الشعبي في المملكة الاردنية .



وهنا اتخذت تل ابيب قرارها . فصممت نهائياً على القيام  
بغزو و تطهيري في سيناء .

في هذه الاثناء كانت العلاقات الودية تزداد توثقاً بين باريس  
وتل ابيب . فانتقلت افواج الضباط والاختصاصيين الاسرائيليين  
الى فرنسا تفاوض في شراء الاسلحة وتجد في كل مكان استقبالا  
حاراً مخلصاً ولا سيما في شارع القديس دومينيك في ابنية وزارة  
الدفاع الفرنسية .

يضاف الى هذا كله ان مناحيم بيغن احد زعماء المعارضة في  
اسرائيل قد استقبل استقبالا حافلاً في باريس وخطب امام  
اعضاء المجلس الوطني . اما حكومة بن غوريون فقد وجهت  
دعوات كثيرة الى برلمانيين فرنسيين ليكونوا ضيوفاً عليها في  
تل ابيب .

اما اول من حملت اسرائيل رغبتهما اليه في التسليح و كشفت  
له نياتها الخبأة فهما وزير الدفاع الفرنسي جورجيس مونوري ومدير  
غرفة السيد أبيل توماس . اما وزير الدفاع فهو شاب في الثانية  
والاربعين من عمره واحد خريجي مدرسة البولتكنيك النابهن .  
وكذلك مدير غرفته السيد أبيل توماس .

وفي اواسط تشرين الاول كانت افواج من الاختصاصيين  
الاسرائيليين قد وصلت الى شارع القديس دومينيك في وزارة  
الدفاع الفرنسية للتزود بآخر التجهيزات التي تحتاج اليها اسرائيل  
في هجومها المرتقب الذي تعده ضد مصر .  
ولم يكذب جورجيس مونوري يعرف بالخبر حتى استقل سيارته

فصدأ قصر ماثينيون حيث يقيم رئيس مجلس الوزراء . فقدم اليه على صينية من فضة هذه الفرصة الذهبية التي طالما انتظرها الفرنسيون لتبرير تدخلهم في مصر .

ان الهجوم الاسرائيلي في نظرهم سيبرر تدخلا فرنسياً بريطانياً . ولان مثل هذا الهجوم سيجعل الملاحة في القناة في خطر داهم . لا سيما وان عبد الناصر قد هدد بتخريب القناة والقاء قطع ضخمة من الاسمنت في مياهها فيما اذا تعرضت بلاده لخطر غزو منتظر .

وهكذا ازال عبد الناصر بتصريحه كل تردد اظهره ايدن ووزير خارجيته سلوين لويد فوضعا قرارهما النهائي .

لقد كان قرار اسرائيل في وقت رأى فيه الرأي العام في باريس ولندن مثل هذا القرار فرصة فريدة بمنازة .

اما في بريطانيا فقد انهارت الامل في تحقيق انتصار ثاري على عبد الناصر بعد الانتخابات الاردنية التي فاز فيها انصار مصر فوزاً ساحقاً . لا سيما وان المفاوضات التي كانت تدور في عمان بين المصريين والسوريين والاردنيين قد جعلت من عبد الناصر سيداً غير مدافع وقائداً للاتحاد العربي .

وقررت الحكومتان الغربيتان اخيراً ان تحولا ملف قناة السويس الى مجلس الامن بعد ان ترددتا طويلاً في اللجوء الى هذه الوسيلة العقيمة . ولكن الروس قد اعترضوا هذه المحاولة بحقهم في النقض ( الفيتو ) ولم تقدم الولايات المتحدة على انجاد حليفتهما . فظهرت نيات السيد فوستر دايس في اخراج البريطانيين

والفرنسيين من الشرق الاوسط واضحة جلية .

وعندما حاول السيد ايدن قبل ذلك بستة اشهر ان يقنع  
بروسيا وفرنسا بالتدخل ضد النفوذ الروسي في الشرق الاوسط وفي  
مصر بصورة خاصة ، وان ينتزع منه تصريحاً يفهم به روسيا  
ومصر وزعماء العرب بان الولايات المتحدة عازمة على استعمال  
القوة المسلحة للدفاع عن مواقع الغرب ، تماماً ، كما فعل بالنسبة  
الى جزيرة فورموزا في حالة تعرضها للعدوان .

ورفض الرئيس ايزنهاور قائلاً :

— انني لن اقوم بعمل قد تفسر نتائجه على انها عمل حربي  
حتى يقرر الكونغرس الاميركي هذا الامر . وهو وحده الذي  
يملك مثل هذه السلطة .

ولكن ايزنهاور لم يلبث بعد تجديد رئاسته سنة ١٩٥٧ أن  
طلب من الكونغرس ان يأذن له باستعمال هذه القوة المسلحة في  
الشرق الاوسط . فعل هذا بعد انهيار النفوذ البريطاني الفرنسي  
الذي تلقى الصدمة الخفيفة ففرض عليه امر وقف اطلاق النار  
من قبل هيئة الامم المتحدة والروس والاميركيين مجتمعين .

كان السيد داليس يضغط على الفرنسيين والبريطانيين للامتناع  
عن اللجوء الى القوة المسلحة بعد تأمين القناة ، بينما كان هذان  
البلدان مهددين من قبل عبد الناصر ومن قبل موسكو وراءه  
بالاختناق الاقتصادي . وكانت السفن الاميركية تدفع رسوم  
اجتياز القناة كاملة الى الجانب المصري . كما نسف السيد داليس  
جمعية الدول المنتفعة من القناة ، واتاح لعبد الناصر فرصة



الانتصار في معركة التأميم .

لقد سئل السيد غي موليه بجرارة من قبل مجلس وزرائه عما انتهت اليه الحملة ضد مصر .

فاجاب موليه : « ان لدي وعداً قاطعاً من السيد ايدن بان الحملة ستتحقق قبل عيد الميلاد » .

وفي الثالث عشر من تشرين الاول وضعت المعـ ارضـ الروسية واليوغوسلافية نهاية للمناقشات في هيئة الامم المتحدة ، ولآمال الفرنسيين والبريطانيين في تحقيق تسوية دولية لقضية القناة . وفي الرابع عشر من الشهر نفسه عرف الفرنسيون بالحملة الاسرائيلية التي تهيأ ضد مصر . وفي الخامس عشر منه توجه الجنرال شال الى لندن ليحيط السيد ايدن علماً بالموضوع .

ثم اشار الى المنطقة التي يجب ان يحدث فيها التدخل البريطاني الفرنسي بعد ان وضع يده اليسرى على سيناء وقال هنا الاسرائيليون . ويده اليمنى على الدلتا وقال : هنا المصريون . ثم اشار الى القناة وقال : هنا يجب ان تحدث عمليات التدخل .

فاجاب ايدن : « هذه فكرة حسنة » . ولكن رجل الدولة البريطاني قد نظر الى المنطقة التي حددها الاقتراح العسكري نظرة سياسية بحجة .

وفي السادس عشر من الشهر نفسه احتجز السيد ايدن نفسه ووزيره السيد لويد في غرفة من قصر ماتينيون في باريس مع موليه وبينو . وبقي معاونوهم خارج الغرفة خلال خمس ساعات متوالية .

« وفجأة وضع ايدن خطته . انه لم يكن يريد هجوماً كما يكون الذيل بين الفرقاء . ولا كحليف لاسرائيل . فان معاهدات التحالف التي تربطه بالعرب والمواقع التي يريد الاحتفاظ بها او تجديد السيطرة عليها لا تسمح له بعقد اي حلف مع اسرائيل التي اقترح منذ قليل تعديل ارضها لمصلحة العرب .

فالمح المسؤولون الفرنسيون له ان رغبته في الاحتفاظ بصداقة العرب ستكون لها نتائجها السيئة في هذه الحملة ، وعقبوا قائلين : لقد كانت فرنسا قوة اسلامية كبيرة ، وصديقة كبيرة للعرب عندما غزت الجزائر وتونس ومراكش وسوريا ، وبكفي ان نعاود السيطرة على القاهرة لنصبح اصدقاء لمصر ( كذا ) .

اما الرئيس البريطاني فقد 'قد' من صخر .

كان يريد الاستفادة من المعركة الاسرائيلية وان يطاء ارض القناة ويحمي فيها حرية الملاحة مع الافرنسيين ، شرط الاحتفاظ بموقف الموفق المحايد والمتدخل لابعاد المتقاتلين عن القناة .

واكد السيد ايدن ثقته التامة في ان الولايات المتحدة ستساهل مع حليفتيها حين تتدخلان كحارسي سلام لفصل اسرائيل عن مصر وتأمين الحماية للقناة .

ولكن بينو لم يكن يشاركه في هذه الثقة ، مؤكداً ان ايزنهاور وداليس لن يترددا في شجب هذا التدخل العسكري واعتبار الفرنسيين والبريطانيين معتمدين في كل وقت قبل انتخاب الرئاسة او خلالها او بعدها .

اما فيما يتعلق بالروس فقد كان وزير الخارجية الفرنسية اكثر

ونوقاً ، قائلا : « انهم سيصرخون ، ويهددون ، ويحلمون .  
ولكنهم لن يفعلوا شيئاً » .

وقد حدث ما تنبأ به السيد بينو الفرنسي ، فقد ضج  
السوفيات وارسلوا التهديدات المخيفة ولكنهم احتفظوا بتعقلهم  
وحذرهم .

وقال موليه : « ان علينا ان نتخذ قراراً اليوم ، او نقلع  
عنه ابدأ . لان الراصدين الجويين يتنبأون بصفاء الجو في نهاية  
تشرين الاول واوائل تشرين الثاني في منطقة البحر المتوسط .  
اما فيما يلي من الاسابيع فالظروف الجوية قد لا تسمح بتحقيق  
عمليات انزال سليمة ، وحاجتنا ماسة الى ليالٍ مضيئة صافية  
لتجميد المطارات والطائرات المصرية والى بحر هادىء لاستعمال  
قوارب الانزال » .

واشار الفرنسيون بعد ذلك الى ضرورة الاستعجال في تهيئة  
هذه الحملة ، لكي لا تتاح لهيئة الامم المتحدة فرصة التدخل ،  
وان على المتدخلين ان يحققوا اهدافهم باسرع ما يمكن من  
الوقت ، وان مباراة في السرعة ستنفجر بعد ابتداء الحملة بين  
البريطانيين والفرنسيين من جانب وهيئة الامم المتحدة التي  
سيحرجها الامير كيون والروس من جانب آخر .

فقال ايدن : « ان الامير كيون سيظهرون استياءهم ما في  
ذلك ريب ولكنهم لن يعملوا على شل عملياتنا في كل  
حال » .

وهيئة الامم المتحدة ، في حالة وقوف اميركا موقف حياد



نسي، لن تسرع في اتخاذ القرارات الخطيرة قبل مرور اسبوعين  
يكون خلاهما البريطانيون والفرنسيون قد اصبحوا اسباد  
بور سعيد والسويس . وهنا يدرك السيدان ايزنهاور وداليس  
قيمة الشرق الاوسط الخطيرة بالنسبة الى السلم العالمي والى الغرب  
بصورة خاصة بحيث تنضم قوات اميركا وهيئة الامم المتحدة الى  
قوات المحتلين الحلفاء .

وعقب لويد قائلاً ، بجماسة ضئيلة لفكرة التدخل : « ان  
الخطر الكبير هو في امكانية تخريب عبد الناصر للقناة بحيث  
نجد انفسنا محرومين من الوقود ونكون كمن يضرب الحصار  
على نفسه » .

فاجاب موليه : « ان الهجوم الاسرائيلي كاف لدفع  
عبد الناصر الى تنفيذ تهديداته . ونحن لا نستطيع ان نمنع  
الاسرائيليين المهددين بالفناء من العمل على تخريب الجهاز الذي  
يبني لغرض ازالته . والعكس هو الصحيح . فان تدخلا غريباً  
ساحقاً قد يقلل من امكانية التخريب الذي سيصيب القناة خلال  
هذه المعركة » .

وعقب ايدن قائلاً : « اننا من ناحية اخرى نستطيع الاعتماد  
على استعداد الولايات المتحدة بتزويدنا بالوقود الذي قد  
نحتاج اليه » .

فاجاب موليه : « ان المعضلة الكبرى في هذا الموضوع هي  
ان الغرب قد أصبح مهدداً من قبل الاتحاد السوفياتي الذي وضع

قدمه في الشرق الاوسط وحول مصر الى معسكر كبير . وهي  
من الضخامة بحيث تبرر لنا مقابلة الاخطار التي قد تعترضنا .  
وتقررت الحملة . وقبل الفرنسيون ، بعد عجزهم عن تغيير  
موقف ايدن ، استعمال التبرير القانوني المصطنع لعملية التدخل  
التي تستهدف ابعاد المتقاتلين عن القناة .

وهكذا بقي عليهم تحقيق التناسق بين الهجوم الاسرائيلي  
وعمليات التدخل .

قال ايدن : « انني لا اريد ان اعرف شيئاً عن اسرائيل .  
وسأعمل عند بداية المعركة . فأرسل الأنداز وأوجه قوافلي  
بعد ذلك » .

والح الفرنسيون على ضرورة جمع القوات البريطانية في كل  
من مالطه وقبرس . فتم الاتفاق على ذلك . ورجع ايدن ليلعب  
هيئة اركان حربه بنتائج محادثاته وتعليماته .

أما الاسرائيليون فانهم رغم رغبتهم الشديدة في التخلص من  
الخوف الرابع الذي يخيم فوق بلادهم ، فان فريقاً كبيراً من  
دبلوماسيهم كانت فكرة التدخل الفرنسي البريطاني  
لسببين رئيسيين :

اولاً : ان اسرائيل كانت تطالب دول مؤتمر باندونغ  
باشراكها في اعمال هذا المؤتمر .

ثانياً : ان اشتراك بريطانيا معها في هذه المعركة يسيء اليها  
اساءته الى بريطانيا بالذات .

يضاف اليهما ان اسرائيل كانت تعلم بالفوز با كاليل الفار  
وحيدة دون شريك .

كان هذا هو رأي السياسيين على الاقل . اما العسكريون  
فهم اكثر ادراكاً للحقائق .

لقد أعلن ناطق اسرائيلي : ان اشتراك بريطانيا وفرنسا  
جدير بالقضاء على الطيران المصري ، بحيث تستنقذ حيفا ونل ابيب  
والقدس من قنابل طائرات الميغ وايليوشن . كما تتحرر القوات  
الاسرائيلية في سيناء من صواريخ المصريين ورشاشاتهم .

ومع هذا كله فان الاسرائيليين لم يكادوا يقتربون من يوم  
المعركة حتى اجتاحتهم قلق شديد حين فكروا بالغارات الجوية  
وتخيلوا تساقط القنابل عليهم بعد اجتيازهم للحدود المصرية .  
فطلبوا الى فرنسا ان تزودهم بمزيد من قوات التدخل  
الجوي .

وبما ان وضع البريطانيين قد برز بالتعقيد المشار اليه انفاً ،  
فقد وجد الافرنسيون حرجاً في ارسال قوات كبيرة الى  
اسرائيل في غفلة عن البريطانيين . ولكن خوفهم من تغلب  
عبد الناصر على الدولة اليهودية او من تراجع اسرائيل في الدقيقة  
الاخيرة بحيث تضيع اغراض فرنسا من الحملة المنتظرة ، قد  
دفعهم الى التصميم على ارسال هذه القوات .

وكان الاتصال التلغوني بين اسرائيل وفرنسا يحدث في كل  
يوم . واخيراً اتفق بن غوريون وموليه تليفونياً على ان يتوجه  
الاول الى فرنسا لوضع حد نهائي لهذا الموضوع .



فأخذت الاحتياطات الاستثنائية لاستقبال رئيس وزراء  
إسرائيل في مطار « فيلا كوبلا » وأخلى المدرج الرئيسي حتى  
من العسكريين أنفسهم . ووصلت حول التاسعة صباحاً إلى  
المطار سيارة خالية من ساراتها الرسمية تقل السيد موليه .  
وانتظرت قليلاً حتى حطت طائرة آتية من تل أبيب تحمل  
بن غوريون الذي غطي رأسه بقبعة كبيرة تخفي جانحي شعره  
الابيض . وانطلق رجلا الدولتين إلى بناء عسكري مجاور  
أخلي من سكانه .

أما ما قيل في هذا الاجتماع فقد بقي سرّاً حتى اليوم . والذين  
شعروا بمجيء مندوب إسرائيلي كبير في فرنسا قليلاً جداً ،  
مع العلم أن هؤلاء القليلين كانوا يظنون أنه موسى شاريت .  
وامتدت المفاوضات حتى الظهر . ومن الممكن أن نستخلص  
ما جرى فيها من خلال الحوادث التي تعاقبت بعد ذلك .  
لقد حصل بن غوريون نهائياً على المساعدة الجوية الكبيرة التي  
كان يطالب بها ، وعلى مساعدة بحرية مثلها أيضاً . هذا من  
جانب . أما من جانب آخر فقد أصبحت إسرائيل وفرنسا  
حليفين حقيقيين ، لا في الميدان العسكري فقط . بل في  
الميدان الدولي أيضاً .

لقد جرت عملية التجنيد منذ أواسط تشرين الأول وتتابعت  
في سرية تامة . وفي الخامس والعشرين من هذا الشهر أعلن عنها  
بسرية تامة أيضاً بحيث أن العالم لم يطلع عليها إلا في الثامن  
والعشرين وقد ظن العالم كله أن الهجوم سيكون في اتجاه

الأردن الذي كان الفدائيون فيه قد بدأوا نشاطهم منذ  
أربعين خلت :

ولكن اليوم التالي لم يلبث أن كشف عن نيات  
الإسرائيليين . ووضع العالم أمام أزمة جديدة . وبدأ الزحف  
الإسرائيلي على سيناء :

## خمسون يوماً من الاستعداد

أرسل الانذار البريطاني الفرنسي في تمام الساعة السادسة من مساء الثلاثين من تشرين الاول ، وبدأت عمليات الآلة الحربية على ابواب القاهرة في تمام الساعة السادسة والنصف من مساء الواحد والثلاثين من تشرين الاول . ان هذه الآلة الحربية ، جهزت واعيد النظر في تجهيزها مرات متعددة قبل ذلك بخمسين يوماً ، وقد كانت على اتم الاستعداد منذ العشرين من ايلول .

ومن متناقضات هذا العصر الذري ان الحملات العسكرية فيه تتطلب من الزمن لتحقيق تجهيزاتها المختلفة اكثر مما كانت تتطلبه في زمن البحرية الشراعية .

لقد اعلنت الحكومتان الغريبتان عن عزمهما على استعمال القوة واللجوء اليها اذا نعدر عليهما ان تجدا حلاً سلمية لقضية القناة .



وكان اول ما خطر للسيد موليه ، بعد القهقهة العالية التي انفجرت في الاسكندرية ، هو تحقيق تدخل ثلاثي : اميركي بريطاني فرنسي . لقد كان الرئيس عبد الناصر يستهدف الولايات المتحدة بعد ان امتنعت عن تزويده بالمساعدة المالية لبناء السد العالي ، حين امم القناة فامسك بخناق حليفتيها ووضع قبضته فوق الشريان الحيوي لنشاطها اليومي .

وقد اتصل السيد موليه بالسيد ايدن بعد اذاعة الخطاب المصري بساعات قليلة وحصل على موافقته . ثم توجه في الوقت نفسه الى واشنطن ، فاعلن السيد داليس انتقاله الى لندن . وفي التاسع والعشرين من تموز استقل الاميرال نومي ، رئيس اركان البحرية ، طائرة خاصة الى لندن . فقد ارسله السيدان موليه وبورجيس مونوري وزير الدفاع الوطني ليكون الى جانب السيد ايدن والقيادة البريطانية العليا . وذلك لتنظيم حملة مشتركة على مصر .

ووصل السيد داليس الى لندن ، وبدلاً من ان يشجع حليفه على استعمال العنف فقد اوصى بالتعقل والرصانة في الشرق الاوسط . كانت الولايات المتحدة تتخذ لنفسها سياسة مستقلة عن حليفتيها الاوروبيتين ، اللتين كانتا تسيطران على الشرق ، فقد رأت الولايات المتحدة ان مصالحها البتروولية التي كانت تربطها بالدول العربية وتضعها في موضع المنافسة للبريطانيين ، وان سياسة التقرب الجديدة التي وضعتها لنفسها مع انصار الحياض ، والخوف من ان تنفضح في تأييدها للقوى الاستعمارية ، وممثليها

الدبلوماسيين الذين يلبس بعضهم لباس لورنس، هذه كلها جعلتها  
تعتقد ان التدخل السوفياتي هو اقل خطراً عليها من مساعدة  
التدخل الاستعماري الذي تنوي حليفتها القيام به .

حاول السيدان بينو وايدن فتح عيني السيد داليس ، فالقناة  
بالنسبة لهاتين الدولتين شريان الحياة . وترك الروس وراء  
عبد الناصر يشرفون على القناة ، يغلّقونها متى يشاؤون ويقتحونها  
متى يشاؤون هو بمثابة تعيين وزير سوفياتي للتموين . واذا اصررت  
الولايات المتحدة على عدم استعمال القوة فان عليها على الاقل ان  
تفسح الطريق حرة لحليفتيها الغربيتين .

فاجاب داليس : كل شيء يمكن ان يسوى بطريق سلمية ؛  
وحادث مصدق مثل بارز على ذلك .

وكان دفاع داليس سيئ الاختيار ، فان مصدق لم يهزم  
بثورة انتهازية الا بعد ان تنازل البريطانيون عن قسم كبير من  
بتقول الايرانيين .

وهم لا يستهدفون مثل هذا الحل .  
وهكذا هدد البريطانيون والفرنسيون بالقضاء على حلف  
الاطلنطي في حالة اصرار اميركا على اعتراضها في سياستهما  
الخاصة .

فقال داليس : علينا قبل كل شيء ان ننقد حلف الاطلنطي ،  
ولنلجأ اولاً الى الاساليب الدبلوماسية .

واخيراً تم الاتفاق على عقد مؤتمر من الدول ذات العلاقة  
الخاصة بالقناة ، على ان تلجأ بريطانيا وفرنسا الى استعمال القوة

إذا فشلت المفاوضات السلمية .  
أما المظلة الذرية الاميركية ضد اي عدوان سوفياتي فبقيت  
مضمونة لكل من لندن وباريس .  
وآمن السيد ايدن ان في هذا الاتفاق ما يسمح له بالاعتقاد  
بان الولايات المتحدة ستفسح الطريق حرة امام حليفاتها .  
وفي الاسابيع التالية ، رجع داليس الى معارضته المكشوفة  
لاية محاولة عسكرية فرنسية بريطانية في الشرق الاوسط .  
ثم انفجر في مناسبة لاحقة ، وامام اعضاء هيئة الامم المتحدة  
عندما شعر بعجزه عن فرض رأيه في العمل بطريقته الخاصة .  
وقد اثبت مؤتمر المنتفعين من القناة لكل من البريطانيين  
والفرنسيين عجزه عن استعمال الوسائل التي تتيح له ارسال حملة  
الى الاسكندرية ، ومع ان البريطانيين والفرنسيين كانوا غير  
راغبين في المفاوضة فان عجزهم العسكري قد ارغمهم على  
الدخول فيها .

وتساءل الاميرال نومي وشركاؤه من البريطانيين يومئذ عما  
إذا كانوا في حاجة الى مثل هذا التريث لو كانوا في خدمة الملكة  
فكتوريا ونابليون الثالث ، او كانوا يجدون انفسهم في مثل هذا  
الخرج العظيم . فقاعدة قبرس الجوية لا تبعد اكثر من ٤٠٠  
كيلو متر من الشواطئ المصرية ، وقاذفات القنابل الذرية  
« كانبير » تستطيع الوصول الى الاسكندرية خلال ثلاثين دقيقة  
والى القاهرة خلال اربعين .

فالقاء القنابل من قاعدة قبرس اسهل من الاتصال بها عن



طريق الهانف ، بحيث يزول عبد الناصر ومليون آخر من المصريين خلال ساعة واحدة من الزمن . ان قهرس قاعدة جوية ذرية مزودة بقنابل - أ - التي يملك منها البريطانيون عدداً غير قليل .

ثم لم يلبث هؤلاء ان ادر كوا انهم لم يعودوا يعيشون في عهد حروب القرم ، وان الرئيس عبد الناصر قادر على ذبح الفرنسيين في كل يوم عن طريق الجزائر ، كما ان التقاليد الدولية لا تسمح بمثل هذه المظاهرات الجزرية الانتقامية .

وهنا برزت فكرة جديدة ، فقالوا : الا يمكننا ان نرسل عدداً كبيراً من الطائرات التي نحمل ما يساوي ستة كتائب من الجنود فينزل أفرادها فوق الاسماعيلية عاصمة المجرى المائي ؟ فصرخت هيئة الاركان محتجة بان جنود المظلات لا يمكن ان يتركوا في الميدان وحدهم اكثر من ١٢ ساعة .

ان طيراناً قوياً كطيران مصر مؤلفاً من أربعئة طائرة نصفها حديث ، وان جيشاً مدرعاً مؤلفاً من أربعئة دبابة ثقيلة كافيان لسحق ٦٠٠٠ من المظليين في فترة وجيزة جداً .

ثم قال رجال العمليات الاستراتيجية : ان علينا تجميع الطيران المصري ، القوة الرئيسية الكبرى في الشرق الاوسط والمؤلفة من طائرات نفثة سربعة ، وان علينا إعداد المظليين وتجهيزهم تجهيزاً كاملاً لكي ننزلهم فوق الاراضي المصرية .

هذا كله يقتضي استعدادات خطيرة مهمة ، بالإضافة الى ضرورة انجاد المظليين بقوى مساعدة والحاقهم بالسيارات المدرعة .

اما نقل هذه السيارات فهو في حاجة الى اسطول كبير . ولكي يضعها الاسطول فوق اليابسة فاننا يجب ان نستعد لعملية انزال واسعة .

ويضاف الى هذا كله ايضاً وضع خطة شاملة . والخطة الشاملة في حاجة الى هيئة اركان حربية . وبعد مداولات امتدت ساعات كثيرة قرر العسكريون ما يلي :

( ١ ) يجب ان تكون العملية العسكرية رباعية الجوانب ، فهي جوية اولاً لتنظيف الجو من الطائرات المصرية النفائة التي زود بها المصريون من قبل الاتحاد السوفياتي ، والتي تحول دون اقتراب جنود الحملة من الارض المصرية . وهي ثانياً حملة مظليين ثم حملة برية لاستثمار نجاح المظليين . واخيراً حملة بحرية بصورة الزامية لحمل القوات المغيرة وتقديم النجدة على عتبة مرفأ الانزال .

( ٢ ) لا تملك فرنسا وبريطانيا اية قوة صالحة للتدخل ، أي قوة مغاوير لها طيرانها واسطولها ومراكبها البرمائية وسياراتها المدرعة ومدفعتها بحيث تكون مستعدة للطوارئ في كل وقت وفي كل مناسبة ، ففرنسا التي كانت وما تزال منذ سنة ١٩٣٩ في حالة حرب دائمة لم يكن لها من الوقت والوسائل ما يسمح لها ببناء هذا السلاح الغالي الثمن بحيث تكون مزودة بالاسلحة الحديثة عند كل طارئ ، وبريطانيا ليست خيراً منها . اما جهاز جيوش الحلف الاطلسي فلا يصلح ابداً من الناحية المبدئية لاستعمال قوات منه بصورة مستقلة فردية .

١٣) ان تعبئة حملة عسكرية على مصر ، تتصرف بقاذفات ومطارادات ومختلف انواع الاسلحة والذخيرة الحديثة مع وحدات آلية متحركة واسطول حربي وعشرات من الناقلات واجهزة للانزال ومدفعية مناسبة ، وهيئة لاسلكية النخ . بحيث تكون كلها مستعدة للعمل ، في حاجة الى أسابيع ، وقد نحتاج الى أشهر ، بل الى شهر ونصف على الاقل .

لقد كان أحد القادة الاميركيين يقول لمجموعة من الضباط الافرنسيين : ان المأساة بالنسبة اليكم ، ستكون في البطء البريطاني ، فالبريطانيون يطالبون لكل عمل يقومون به ، بوقت مضاعف عما يحتاج اليه في الحقيقة لتنام تنفيذه . ثم عقب قائلاً :

« ولو استمعنا الى رأيهم لما حدثت عملية الانزال الكبرى في شواطئ النورماندي ( اوفرلورد ) سنة ١٩٤٤ ، بل تأخرت سنة كاملة على الاقل » .

(٤) ان المهمة الاولى هي تكوين هيئة أركان عسكرية لم تكن موجودة بعد لتعذر الاستفادة من هيئة أركان جيش الاطلسي في هاتيك الظروف بحيث تكون هيئة مربة ، عاملة في صمت ، مستقلة استقلالاً مطلقاً .

وفي اليوم التالي لتوضيح هذه الملاحظات ، تم الاتفاق بين رئيسي الحكومتين على تعبئة القوة المطلوبة .

وقد أطلق على هذه العملية اسم سري هو اسم « ترابان » لا يطلع على مغلغاته في بريطانيا غير الملكة ورئيس الوزراء .



ولا يعلم بمحتوياتها في فرنسا غير رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ثم وزير الدفاع الوطني ، بحيث تبقى خفية على من سواهم حتى على رؤساء هيئاتهم العسكرية الخصوصيين .

لم تطلع الحكومة الفرنسية على الحطة الموضوعة الاليلة رجوع السيد موليه من لندن بعد توجيه الانذار الى طرفي النزاع في الشرق الاوسط . كما كان كل موظفي «الكي دورسيه» في جهل مطبق بما كان يدبر في الخفاء . أما السيد شوفل سفير فرنسا الى لندن ، فقد جهل كل شيء حتى التاسع والعشرين من تشرين الاول ، واخفى عنه وزيره هذه الحطط المرسومة حين اتى الى لندن لمفاوضة السيد ايدن ، كما اخفيت أسماء القادة الذين عينوا لقيادة الوحدات المطلوبة . وبقي ضباطهم في جهل تام باسباب الترتيبات التي طلب اليهم القيام بها .

وسلمت القيادة العليا الى البريطانيين ، لانهم كانوا أقرب الى الاميركيين وفي وضع قد يسمح لهم بالحصول على حياض الاميركيين . لقد كانت لهم قُبرس كقاعدة للتدخل العسكري . وكانت لهم طائراتهم ذات المدى الطويل بينما كان الفرنسيون محزومين منها . وكانوا يملكون قواعد في مصر ويعرفون البلاد المغزوة معرفة تامة . كما يملكون في الوقت نفسه اكبر الاجهزة واقواها لتنظيف القناة : البحرية الملكية .

أما التقديرات الاجمالية للقوى الموضوعة لتحقيق هذه المحاولة فقد كان ثلاثة أخماسها من البريطانيين ( ٥٠،٠٠٠ رجل ) وثلاثاها من الفرنسيين ( ٣٠،٠٠٠ رجل ) ثم تعادل الطرفان بعد الانذار

بسبب ما ألحقه الفرنسيون بقواتهم من نجات جديدة .  
واتفق الطرفان ، لتأمين نجاح عملية التدخل ، على دمج  
الجيشين ، فلا يكونا جيشين متحالفين بل جيشاً واحداً فقط  
تابعاً لقيادة بريطانية ، الحق بها قائد فرنسي هو بمثابة المساعد  
والنائب عند الضرورة العارضة ، تنتقل منهما الاوامر الى أميرال  
بريطاني يساعده أميرال فرنسي ، والى جنرال بريطاني يعاونه  
قائد فرنسي ، ثم الى مارشال جوي بريطاني يتبعه جنرال جو  
فرنسي أيضاً .

وقد ظن واضعو الخطة أن في مثل هذا التنظيم المنبع في  
جيش الاطلسي ما يحول دون بروز المساوىء المعروفة لكل ائتلاف  
بين جيشين ، من تنافس واختلاف وتصادم قد يحدث بين قادة  
من درجات متساوية .

والواقع ، ان هذه التجربة ، قد كادت تثبت فشل هذا الدمج ،  
الذي طالما رغبت فيه الجيوش الاوروبية المتحالفة ،  
وفتشت عنه .

لقد حمل توحيد القيادة شيئاً كثيراً من الجمود والنقل  
والبطء ، حتى كاد الفريقان يستغنيان عنه ، منذ ابتداء المعركة .  
فالبريطانيون لا يملكون النهج الذي يستعمله الفرنسيون ،  
والمراسلات المتبادلة بينهما قد اصطدمت بشيء كثير من التعقيد .  
ولذلك فان الجيشين لم يكادا يضعان اقدامهما في أرض بور سعيد  
حتى استعادا استقلالهما .

ولئن لم يذهبا بعيداً في غارنهما بالسرعة المطلوبة ، فالحسب

راجع جزئياً الى عملية التوحيد هذه ، ولو استطاع الفرنسيون العمل وحدهم بسندهم البريطانيون ، لسهل عليهم ان يكونوا فوق القناة كلها حتى السويس قبل توقف اطلاق النار بسبب استفادتهم المنتظرة من قرب الاسرائيليين منهم .

أما التجهيزات العسكرية الفرنسية والبريطانية فلم تكن ذات صفة مشتركة . حتى ان الحلفاء قد عجزوا عن الاتفاق على كل شيء ، على البندقية ، والسيارات . فالحركات مختلفة ، وقود الطائرات مختلف أيضاً . أما وقود الدبابات فلم يكن على درجة واحدة من طاقته التفجيرية في كل من الجيشين . كما ان الاختلاف في الزيوت والشحوم الميكانيكية ظاهر بين . ومستودعات الوقود لأحدهما لم تكن تصلح للآخر ، وكذلك السيارات المدرعة والمدافع ، فهي متباينة في حجوماتها ومقاييسها وقذائفها ، والشأن نفسه في نوعية الطعام المقدم الى أفراد الجيشين . فالبريطانيون يشربون الشاي الذي يكاد يبعث على القيء عند الفرنسيين ، والفرنسيون يأكلون السردين المعلب الذي يبعث القرف في نفوس البريطانيين .

وفي الضرورة الملحة كانت هيئات الخدمات الطبية أقدر على الاندماج ، مع كل التعقيدات التي يسببها اختلاف اللغتين والتقاليد الطبية . وموازين الحرارة البريطانية لا تقرأ من قبل الفرنسيين ، كما أنها توضع في الفم .

أما فرق الإشارة والمراسلات فقد كانت متحاجة متباعدة ، فلكي تصل الاوامر الى اهدافها في وسط المعركة لكل من

المقاتلين المنتسبين الى جنسيتين مختلفتين يجب أن يتم التفاهم بين جنود الاشارة والارسال في الارض وبين الطيارين في الجو والمدفعية في المؤخرة والدبابات في المقدمة .

ولكن جنود الاشارة الفرنسيين يجهلون الانكليزية والعكس بالعكس بالنسبة الى الجنود البريطانيين . وإعداد جنود يعرفون اللغتين أمر يحتاج الى أشهر طويلة من العمل المستمر ، بل الى سنوات لبعض منهم .

يضاف الى هذا كله ، ان الفرنسيين يملكون قوات مضرة متعمدة على المراسلات السريعة ، ومهياة لكل مفاجأة حربية . اما حلفاؤهم فلم يكن لهم غير أركان قاتلوا قبل ذلك باثنتي عشرة سنة .

واتفق الطرفان سريعا على تسمية الحملة باسم «هملقار» ، وظهر ان الدمج بالنسبة الى هذا الاسم شيء مستحيل . فالبريطانيون يكتبون «هملقار» مبتدأ بحرف ( H ) رسموها على جدران دباباتهم الاولى المرسلة الى مالطة من ميناء ليفربول . اما الفرنسيون فيكتبونها دون ( H ) ولذلك رسموها على وحداتهم المدرعة بحرف ( A ) .

في الواحد والثلاثين من تموز استقل أحد ضباط هيئة الاركان ، الكولونيل «بربور» طائرة خاصة ، بتأبط حقيبة كتب عليها بالفرنسية : فرقة المظلات العاشرة التي كانت ستبلغ تجهيزاتها اربع فيالتي ، والفرقة الميكانيكية السريعة السابعة . فوثان من الدرجة الاولى .



— كونوا على استعداد خلال خمسة أيام ! هذا هو الأمر الصادر إلى المظليين في افريقيا الشمالية بعد مفاجأة التأميم الذي قام به عبد الناصر .

لقد كان هذا الأمر بمثابة طلب المستحيل . فقد كان الجنود متفرقين على اختلافهم في مربعات متباعدة جداً فوق ارض واسعة الارحاء . وكان من الواجب تجميع الوحدات واخراج الطائرات ومعاودة ترمينات القفز في مجموعات مؤلفة كل منها من نصف فيلق ، وتجهيز السرايا بمدافع مضادة للدبابات يحتاج اليها المظليون مباشرة بعد وصولهم الى اليابسة .

ففتحت لهم المستودعات من أجل هذه الغاية ، وأخرجت المدافع الثابتة الاميركية - ١٠٦ - التي كانت قد ارسلت حديثاً لاستعمالها فوق سيارات الجيب . ومدفع مدهش ذو انبوب طوله ٣ م ٢٠ ، منقوب في طرفيه ، ذو قوة لم يبلغها مدفع مثله من قبل أبداً . فهو يخترق اقوى انواع التدريع المعروفة ، ثم لا يزيد وزنه على ٢٥٠ كيلو غرام . إنه يقذف بنار شديدة الى الوراء يمتد لسانها ٢٠ متراً بما يفرض شيئاً من التحوط والحذر . وهو لا يستطيع ان يطلق قذيفته غير مرة واحدة . فاذا اصبحت الدبابة المستهدفة فقد زالت من الوجود . وكان العسكريون في حاجة الى اسبوعين اثنين لتنظيم فرقة المظليين العاشرة وتجهيزها . ولكن مجموعة اولى من المظليين الفرنسيين قد وصلت الى قبرس منذ الالبام الاولى اشهر آب . فبعثت الدهشة في العالم كله ولا سيما في مصر . لقد كان الفرنسيون

يريدون القتال من أجل القناة .

أما فيما يتعلق بالفرقة الميكانيكية السريعة السابعة التي كان يجب ان تطلق أقدام بعض رجالها أرض بور سعيد ، بينما كان القسم الأكبر منها يقوم بإبحار طويل خلال شهر كامل دون النزول الى البر من الجزائر الى مالطة ، ومن مالطة الى قبرس ثم من قبرس الى بور فؤاد ثم رجوعاً الى الجزائر ، فقد اعتبرها الجنرال غرونتز واحدة من احسن فرق جيش الاطلسي .

لقد كانت ، في الحقيقة ، وحدة طويلة التجربة صالحة للعمليات الذرية . عشت منذ وقت قريب ، وبلغ من قوتها الآلية ان فيها سيارة لكل ثلاثة من المقاتلين .

وبما أنها كانت قد نقلت من المانيا الى الجزائر لتهدئة الحالة فقد تركت اسلحتها الثقيلة وراء الرين . وكان جنودها يتأورون في الشمال الاقربقي في تشكيلات خفيفة ضد النافرين .

لقد وجب ان تجمع اجزاء هذه الفرقة الموزعة بين المانيا والجزائر وان تجهز لغاية ثالثة : هي غاية جيش بحوض معركة صحراوية ، بشروط بدائية ، مختلفة تمام الاختلاف عن شروط الحرب الذرية .

انه نحول ثالث ، نحقق خلال ثلاثة اسابيع بعجز اي جيش آخر في العالم عن تحقيقه بمثل هذه السرعة . هذا ما كان يقوله احد الخبراء الاميركيين .

ان هناك رجلاً واحداً يستطيع الحيلولة دون ارسال حملة نهياً ونُعَباً ، انه الوزير المقيم في الجزائر السيد لاكوست ،

فقد كانوا ينتزعون منه خير جيوشه ولكن لا كوست الذي  
استشير في هذا الامر اجاب :

— ان فرقة فرنسية في مصر تساوي اربع فرق في الجزائر .  
فالمهجوم على مصر يحقق له امنياته كاملة .

في بداية آب ، وصل الى لندن القائد الفرنسي للجنة التخطيط  
الفرنسية البريطانية . وهو قائد الحملة ( A ) . انه ضابط مجهول  
من قبل الرأي العام ، مؤمن ، ودبلوماسي لبق ، يتكلم  
الانجليزية كما يتكلم الفرنسية ، موهوب بمهارة عرض عجيبة ،  
حتى ان مهنته كلها قد ظهرت وكأنها كانت تعده للقيام بنثل  
هذه المهمة .

لقد كان مراكشياً حائزاً على شهادة ضابط أركان حرب ،  
اشترك في شهر آب من سنة ١٩٣٩ في بعثة دومنك الى روسيا  
والمكلفة بتحقيق الاتصال مع الروس ضد هتلر .

ثم سجن خلال أيام الاحتلال لاشتراكه في أعمال المقاومة ،  
وكان في غواصة الجنرال جيرو حين اجتاز هذا الأخير البحر  
الى أفريقيا الشمالية بصورة سرية ، ثم قاد طابوراً خلال معركة  
تونس ، وشارك كضابط في هيئة الأركان في معركة إيطاليا .  
ثم أصبح رئيساً للمكتب الثالث في جيش الجنرال دي لا تور  
الأول . وهي وظيفة تتطلب العبقرية في كل ساعة وتحقيق  
المنجى في كل الدقائق .

والخلاصة أنه كان دماغاً تحت قبعة عسكرية ، بوجه شاب  
لم يكده ينضج بعد ، مع خصائص سفير ، وعصا مارشال ،

واعصاب هادئة هيأتها تجربة النضال في كل المواقع .  
كان الجنرال بوفر في لندن بثياب مدنية يجهل الناس طبيعة  
مهمته . وكان ينزل درجات أقبية القيادة العسكرية القائمة تحت  
نهر التايمز ، تحيط به قبضة من الضباط في ثياب مدنية ايضاً .  
لقد كان يعمل في غرفة منارة بالكهرباء كمن حكم عليه بالموت ،  
خلال شهرين ونصف شهر مع رؤساء الحملة البريطانيين ، وفي  
سرية مطلقة . انهم لم يكونوا يشعرون بالزمن الذي يمر  
سراعاً .

أما قائد الحملة المنتظر السير تشارلز كينلي فقد كان فارساً  
ذا تكوين مهيب ، ولباقة عظيمة . وقد قصد من هذه اللباقة  
ان تكون وسيلة لتحقيق الانسجام التام بين الاسلحة الثلاثة  
لكل من البلدين ، « عدا الاشارة الى المظليين ، بحيث انها  
اصبحت في مجموعها ثمانية اسلحة تحتاج الى تناسق في الخطط  
والنيات والحاجات . والحق ان التفاهم الودي قد كان كاملاً  
تحت نهر التايمز .

كان السيد تشارلز يمارس قيادته العليا للقوات البريطانية في  
قبرس فلا يأتي الى لندن الا غراراً . وكان يترك امر العناية  
بتنظيم المعركة في تفاصيلها الى قائد عملياته العسكرية اللبوتنان  
— جنرال ستوكويل الذي سيشرف فيما بعد على عمليات  
التنفيذ .

أما ستوكويل فقد كان في الجيش البريطاني شيئاً فريداً  
بمنازاً ، ف سجل رقمياً قياسياً في تقدمه العسكري اذ انتقل من



رتبة مقدم الى رتبة جنرال خلال خمس سنوات فقط . انه طويل ، رقيق ، يكاد يكون سريع العطب ، مع شاربين خفيفين فوق الشفتين ، وقسمات في وجهه فاعمة ، وعصا تحت ذراعه ، انه تجسيد بريطاني للفارس « أنوس » ، وهو معجب بإبطال دوماس ، فاختر لعملياته اسم « موسكيتير » اي الفارس بعد ان استغنى عن الاسم « هملقار » في أواخر آب لوضع مشروع جديد .

لقد اكتشف الجنرال بوفر في شخصية الفارس ستوكويل انجليزياً فيه من خصائص الانجليز أقل عدد ممكن . فهو نشيط ، سريع ، كريم ، ذو سهولة تامة في التعبير ، جدير بتوبيخ مقدم بعنف غير مألوف في مركز قيادة صاحبة الجلالة ثم مرافقته الى نادي الضباط ليباريه في لعبة تصويب الاسهم بعد ذلك بنصف ساعة .

وقد استطاع في بور سعيد ان يغزو قلوب الصحفيين الاقرانيين فخرج يوماً ، ليلة عمليات الانزال ، من مؤتمر صحفي ، وهو يتأبل في خطوات راقصة ويلقي بقبعة في الهواء .

ثم امسك بها بمهارة ضارب الطبل ومدّها الى الصحفيين قائلاً :  
- جنرال عاطل عن العمل ! حسنة لله .

كان ستوكويل ككل الضباط البريطانيين المشتركين في الحملة تقريباً من عشراء الشرق الاوسط . مما يمنحه خبرة بالبلاد العربية وبيعض الاوهام الشائعة . لقد كان يقود القوات البريطانية الاخيرة التي غادرت فلسطين سنة ١٩٤٨ بعد الحوادث

الدائمة التي مهدت لولادة اسرائيل .

وعندما الحقت عملية التدخل بالهجوم الاسرائيلي في اواخر  
نشرين الاول كان الجنرال ستوكويل يعتبر جيش الجنرال  
موسى دايان عدواً يجب ابعاده عن القناة ، فعله مع المصريين .  
وقد أثاره الاقتراح الفرنسي بالحاق ضباط اتصال اسرائيليين  
بالقيادة في قبرس إثارة شديدة فقال :

— إنني أخفق بيدي هاتين اي ضابط اجده هنا منهم !  
كان بوفر الفرنسي أهدأ اعصاباً واكثر انجليزية من ستوكويل  
الانجليزي . ولكن كلاً منهما كان ينطوي على كثير من  
التقدير والاحترام للآخر : وقد تعاونوا تعاوناً تاماً بعد ان انتقلا  
من وضع الخطط الى التنفيذ .

كان بوفر ، الرجل المفكر الخيالي ، ذا التجربة البعيدة في  
العمليات التكتيكية وحيل حرب الانصار كما هو في مبتدعات  
الجيش الذري الحديثة ، ملاحقاً باطراد من قبل باريس : اعمل  
بسرعة ، عبيء حملة سريعة ، كن على استعداد لتوجيه الحملة عند  
اول فرصة . اما ستوكويل الذي كان محارباً على الطريقة  
التقليدية الاتباعية والذي صنع ببطء الجلالة البريطانية ، فقد  
كان سجيناً في لندن متأثراً في علاقاته اليومية باقرانه من ضباط  
الجيش الاخرى وكان يشاركه في تحمل مسؤولية الحملة  
ماريшал الجو « بارنت » المكلف بالقضاء على قوة عبد الناصر  
الجوية . ثم الاميرال دانفورد سليتر ، وهو بحري من المدرسة  
القديمة ينظم معركته كما لو أنه ينشبه بنيلسون . جمد تنقصه

المرونة . مقتنع بعدم وجود أية حقيقة بحرية خارج البحرية الملكية .

وفي موازاة الجنرال كيتلي القائد الأعلى في الشرق الأوسط ، عين الاميرال بارجو قائد الاسطول الفرنسي في المتوسط ، قائداً مساعداً أعلى في الحملة المشتركة وقائداً أعلى للقوات الفرنسية مجتمعة .

لقد بنى له السيد تشارلز كيتلي منزلاً فخماً الى جانب منزله في ايبيسكوي وخصص له مكتباً الى جانب مكتبه . ولكن الاميرال الحار لم يكن يستطيع احتمال مثل هذه العزلة الرائعة . فكان في حركة دائمة بين اسطوله الذي كان ينظمه مع الاميرال لانسلو ، وبين لندن حيث وضع له مكتب تحت تصرفه في « الدور الأول » من « بناية » المكتب - الحربي » ، وبين باريس حيث كان يفاوض باستمرار كلا من وزير الدفاع الوطني ووزير البحرية .

كانت مفاهيمه العسكرية الجريئة مصدر ازعاج متكرر للاميرال الاتباعي السيد دانفورد سليتر .

ومن الحق ان يقال ان امثال الاميرال بارجو قد صنعوا خصيصاً لاثارة أعصاب أميرال بريطاني وازعاجه ، فلم يكن رجل عسكري أقل منه تقيداً بالمناهج التقليدية المتبعة . انه جول فرن جديد ، وروائي مبكر النضوج يحمل نجومياً ووردين عسكريين .

انه يسبق المعركة في وضع مفاجأتها وتخيلها ، بينما قد يكون

آخرون متخلفين عنها . اني اذكر حديثاً أجريته معه بعد تحرير فرنسا مباشرة . فكان يصف لي كيف ان في مكانة هتلر ان يخلص نجياً من الصعوبات التي تعترضه ، بتنظيم حرب انصار ضد الروس والاميركيين مستفيداً من تجربة معارك الانصار الاوكرانيين والافرنسيين ، بحيث يندمج المنهج الالماني بخيال بارجو ، وكان ما قاله لي على حظ من الروعة كبير ، ذا طابع عملي ممتاز . ومن حسن الحظ ان هتلر لم يرزق شيئاً من آراء ضابط البحرية هذا ، فانهجر في اقبية المستشارية .

كان بارجو قائداً لاحدى السفن الصغيرة سنة ١٩٣٠ حين وضع خطط التنظيم الجوي والبحري ونال جائزة الاكاديمية البحرية، بمنوحة من قبل مجموعة من امراء البحر يندر ان يجتمعوا فوق هذه الارض . لقد كان يمزج بين الخدمة في البحر وفي هيئة الاركان العامة في شارع «روبال» وبين العمل الصحفي والانتاج العلمي والعسكري . وقد كتب عشرة مؤلفات في التاريخ والتطور الجوي والبحري ، خلا عدداً كبيراً من المقالات المنشورة في الصحف . أما آخر كتبه ، فقد ظهر في السنة الماضية تحت عنوان : « نحو بحرية العصر الذري » .

لقد وضع سنة ١٩٣٩-١٩٤٠ جهازاً رائعاً للاستعلامات في المتوسط بعد ان كاف بعمليات اتصال هامة مع البحرية الملكية اثناء الاحتلال الاجنبي . وقد أمير ، ثم هرب ، والتحق بالجزائر واصبح رئيساً لهيئة أركان قيادة الجنرال جوان قبل ان ينسلم قيادات مختلفة اخرى في البحر .



انه صحفي لامع ومحاضر ممتاز كأعظم ما يكون رجل في  
ثوبه العسكري . والله يعلم ان العسكريين أقل الناس شهرة الى  
الكتابة ، ولكن البحريين جميعاً حتى القدماء منهم يتسابقون الى  
مطالعة ما يبتدعه في كل مناسبة . انه رائع منير .

يضاف الى هذا انه من اسرع الناس الى منع تقدير مستحقه  
واكثرهم إلحاحاً في طلب النفوذ بالتقدير الذي يستحقه . ويؤخذ  
عليه انه يميل الى ان يرسم في لوحات تاريخية ، وبما انه على شبه  
كبير بامير البحر « كراس » فقد رغب الرسام المكلف بانجاز  
اللوحة التي كانت ستزين مربع الطراد « دي كراس » في ان  
يرسمه في لباس قائد اسطول المويس السادس عشر . فلم يكن  
اكثر منه سروراً واستمتاعاً بتحقيق هذه الامنية .

والتزويق الزاهي طبيعي بالنسبة الى هذا البحري ، كما كان  
بالنسبة الى دي لا تر . اذكر انه كان واقفاً في مؤخرة سفينة  
القيادة يحيط به بحريان في موقف التهيؤ الدائم ليلة عملية الانزال ،  
فظهر وكأنه يرتفع من بين زبد البحر الذي يحيط به من كل  
جانب . صورة ذات روعة أخاذة يجب ان تسجلها ريشة فنان في  
هو من أبهاء البحرية .

اما سيئاته فهي في انه يكشف عن نفسه ، ويقفز من  
موضوع الى آخر بسبب سرعته في التفكير . ورغبته في سرعة  
الانجاز قد تدفعه الى ترك ملف من الملفات ، او نسيان مخاطبه  
لبعالج موضوعاً تفصيلياً يشغله . وهو دقيق ورفيق الاحداث  
الصغيرة . وأخيراً فهو موهوب بعشرة حيوات ، خلا مخيلاته

الكثيرة . وقد قبل به المظليون منذ الحقوا بقيادته .  
والخلاصة انه كان جديراً بالمهمة المسندة اليه في عملية التعاون  
الفرنسي البريطاني . اما الضباط التابعون لقيادته الى جانب الجنرال  
بوفر فهما أمير الجو لانسو قائد الاسطول وجنرال الجو  
بروهون .

كان لانسو من اكثر الضباط شهرة عند البريطانيين ، بقامته  
الصلبة ومهابته ، يعلوه شعر أبيض تحت قبعة ملونة ، لقد كاد يفرق  
لهم ، قرب مدغسكر ، دارعتهم « ريزاليوشن » سنة ١٩٤٣ ، بينما  
كان تحت قيادة الماريشال بيتان يقود الغواصة « بيفازيا » .  
ثم رجع الى طولون بينما كان البريطانيون ينتظرونه في  
مشارك جبل طارق بقنابل الاعماق وقذائف المدافع حيث لا  
سبيل له الى الخلاص منهم ، ومن أجهزة الرادار التي تراقبه .  
فارسل بالراديو رسالة الى القيادة في جبل طارق يقول فيها : ان  
الغواصة الفرنسية « بيفازيا » التي هاجمت الدارعة « ريزاليوشن »  
أمام مدغسكر ستجتاز المضيق في طريقها الى طولون .

ولما وصلت الغواصة الى المضيق وارتفعت فوق سطح البحر  
كانت الطرادات والدوارع المعدة لقذفها بالقنابل مصطفة في  
تشكيلات القتال ، ثم ارسلت قذيفة واحدة تكرر لها  
وتقديراً .

والواقع ان الرأي العام الفرنسي لم يدرك ضخامة الحملة  
المصرية ، فقد كانت أعظم حملة بر مائية في تاريخ البحرية الفرنسية  
منذ حملة الجزائر سنة ١٨٣٠ وحملة الدردنيل سنة ١٩١٥ .

لان عملية الانزال في النورماندي سنة ١٩٤٤ لم تجتز غير  
مسافة من البحر قصيرة لا تكاد تتجاوز خمسين كيلو متراً ،  
وكانت تحمل معها مرافقها .

اما « هملقار » وخليفتها « موسكيتير » فقد انطلقت من  
لندن على مسافة ٤٥٠٠ كيلو متر ومن مرسيليا والجزائر على  
مسافة ٣٠٠٠ كيلو متر . ثم توقفت قليلاً في مالطة على مسافة  
١٥٠٠ كيلو متر وفي قبرس على مسافة ٤٠٠ كيلو متر من  
الشاطئ المصري .

أما تفاصيل القوة الفرنسية لهذه الحملة فهي : ثلاثون سفينة من  
سفن القتال ، وحاملتا طائرات ، وثلاثة أساطيل صغيرة منقولة  
من قوة الجو ، وثمانى سفن مساعدة ، وثلاثون سفينة بر مائية ، واثنتان  
وخمسون من سفن المؤونة والحمل ، ومئتا طائرة وتسعة الاف  
سيارة ، وثلاثون الف جندي .

وتألفت القوة البريطانية من مئة سفينة حربية ، ثلاث مدرعات ،  
اربع حاملات طائرات ، وغواصات وثلاثئة طائرة وخمسة  
واربعين الف جندي .

كانت قبرس حاملة طائرات منحتها الطبيعة للبريطانيين  
ولكن البريطانيين لم يجعلوا منها قاعدة بحرية .

فمرفأ فاماغوستا مثلاً ما يزال يحتفظ بهزال مرافئ القرون  
الوسطى حيث كان الصليبيون يخرجون منه . فلا مكان في رصيفه  
لاكثر من ثلاث او اربع سفن للتحميل . أما السفينة ذات المئة  
متر طولاً فانها تناور فيه بصعوبة فائقة . ومنذ توقفت البحرية

الشراعية تراكمت الرمال على شاطئه ، هذا المرفأ حتى ان عمقه لا يزيد على تسعة أمتار .

أما المرفأ الآخر - ليامبول - فهو يمد في عرض البحر رصيفاً لا يتجاوز طوله العشرين متراً ، والسفن التي تقصده مضطرة الى القيام بعملية تفريغ معقدة متسلسلة ، فاذا غضب البحر اضطرت الى الدوران حول الجزيرة لتحتمي برابية من روابيها .

ولعل أول ما يخطر في بال ضابط من ضباط الاركان هو تنظيم اسطول من السفن البرمائية ، بحيث يستغنى عن المرفأ في عمليات الانزال . ولكن الصعوبة الفائقة بسبب فقدان المرفأ في الجزيرة ، والتي يستحيل معها تجميع عشرات الآلاف من الرجال مع سياراتهم واجهزتهم المختلفة ثم تحميلهم في السفن البرمائية ذات القعر المسطح ، تفرض عملاً اعدادياً قد يطول سنوات كثيرة .

فاذا أعد اسطول من السفن الصغيرة يضع مراسيه في عرض البحر تعرضت وحداته عند ظهور العاصفة للتفريق والفوضى والتصادم .

ومن هنا نشأت التعقيدات المزعجة ، فتقرر ان تبدأ عملية الابحار من لندن ومرسيليا والجزائر ومالطة بحيث يتم التناسق في تحركات السفن خلال شهر ونصف . أما السفن الفرنسية التجارية المصادرة وعددها ٥٢ فقد طلب اليها القيام بثلاث دورات بين الجزائر ومصر ، اي قطع مسافة لا تقل عن ١٨٠٠٠ كيلو متر قبل ان تنزل حمولتها . فكأنها كانت تبحر الى جزائر هونولولو .



وكان من المفروض ان تطأ الفرقة البريطانية الثالثة أرض  
اليابسة في ١٥ تشرين الاول آتية من لندن بعد سفر بحري  
يدوم ١٥ يوماً .

كما كان من المنتظر ان تصل النجدة الافرنسية الاخيرة في  
١٥ كانون الأول .

وهكذا وضعت سلسلة من الخطط تحت عنوان « عملية  
هميلقار » بينما كانت الوحدات البحرية تتجمع والوحدات البرية  
تتكون . وكان من مشاريع « هميلقار » ان يتم الانزال في ليبيا .  
ثم رثي الاستغناء عنه بسبب ما يجره من التعقيدات  
الدولية .

واقبلت البحرية الفرنسية التي يمثلها أمير البحر لانلو على  
حصر قوائم سفنها البرمائية ، فوجدت في مستودعاتها وورشها  
مجموعة اصحابها الصدا منذ أيام التحرير ، فأمرت باعدادها ، وهي  
التي كان اكثرها يعمل في مستنقعات الهند الصينية .

وكان بعض هذه السفن في عرض البحر آنياً من سايفون .  
ولا سيما السفينة « لافودر » ، ذات القيمة الكبيرة في مثل هذه  
العمليات . فقد كانت تمخر البحر بسرعة ١١ عقدة في الساعة .  
ولم يكن من المعقول ان يجازف بارساها عبر قناة السويس خوفاً  
من ان تحجز فيها في كل وقت . أما اذا دارت حول رأس الرجاء  
الصالح فانها لن تبلغ الجزائر قبل اوائل ايلول .

واتفق الفرقاء على اعطاء حملة « موسكيتير » وجهها التاريخي  
في اواخر آب او اوائل ايلول .

وكانت خططها الاولى ، التي وضعها المقدم الفرنسي « برا » ،  
نقول باجراء عملية الانزال في الاسكندرية .

فميناء الاسكندرية هو الميناء الوحيد الحديث والمزود  
بالارصفة اللازمة والآلات الرافعة والاجهزة المختلفة التي تسمح  
للاسطول المغير بالاقتراب سريعاً من الشاطئ ، بحيث تصل  
الحملة في تشكيلتها القتالية مرة واحدة مع اجهزتها المرفقة  
المنجزة .

وغاية هذه الحملة هي القاهرة . فلا يغزو الجيش منطقة الدلتا ،  
بل يأخذ طريق الصحراء الغربية ، فيكون للمفاجأة أثرها الفعال ،  
وينتهي عهد عبد الناصر .

ومن سيئات الغارة على الاسكندرية مخاطر الاصطدام  
بسكان مدينة كبيرة ، ثم حدوث التخريبات الضخمة . وقد  
تتحول منطقة الدلتا الى ميدان لحرب الانصار ، وبما ان الحملة  
في حاجة الى اجتياز النيل بسبب ان القسم الاكبر من القاهرة هو  
في الضفة الشرقية منه ، فان الحاجة الى الجسور التي تستعمل بديلاً  
عن الجسور المهدمة شديدة ملحة .

هذا كله بالإضافة الى تصميم الاسطول السادس الاميركي  
على الحيلولة دون بقاء الاسطول البريطاني الفرنسي جنباً الى جنب  
مع السفن المصرية الصغيرة في ميناء الاسكندرية .

واخيراً فان عملية « موسكينير » لم تكن تستهدف القناة  
بل الحكومة المصرية بالذات .

في ذلك الوقت بدت مقاومة شديدة ، تزايدت بسرعة

ظاهرة في بريطانيا ضد عملية التدخل العسكري . ولم يكن العمال وحدهم هم الذين يخاضون السيد انطوني ايدن ، بل انضم اليهم رجال الشركات البترولية ، الذين كانوا يتخوفون من المستقبل المظلم ، ورجال المصارف الذين كانوا يشرفون على عمليات مالية ضخمة في الشرق الاوسط ، يضاف اليهم الاساقفة ، وقسم من الصحافة المستقلة . فارغم ايدن على ان يضع مهمة نسوية هذه القضية بين يدي السيد داليس .

وفي اواسط ايلول صرف النظر نهائياً عن القيام بحملة مباشرة على القاهرة ابتداء من الاسكندرية . فدعيت اللجنة العسكرية السرية الى اعادة النظر في خطط عملية «موسكيتير» وتركيز الاهداف في قناة السويس .

فتقرر النزول في بور سعيد ، ثم التوجه الى السويس . وفي حالة اصرار عبد الناصر على القيام بهجمات متتابة ضد قوات الاحتلال من سيناء في الشرق والدلتا في الغرب ، يرغم المحتلون عند ذلك على التوجه الى القاهرة واحتلالها لوضع حد نهائي للمعركة .

لهذا كله ، وجبت اعادة النظر في الخطط العسكرية والبحرية التي وضعت من قبل ، بحيث نوضع القوائم اللازمة بالتجهيزات المختلفة من وقود وذخيرة ودبابات تسمح لعدد من الرجال لا يقل عن ١٥٠٠٠ بالوصول الى السويس خلال خمسة ايام فقط .

والمعضلة الكبرى في هذه العملية هي بور سعيد بالذات ،

التي لم يكن لها من المرفأ الا اسمها ، فهي محطة للقناة تتجمع فيها السفن في قافلة موحدة وتنتظر قاذمها البحريين . وهكذا فان التفريغ الضروري يجب ان يحدث بواسطة السفن البرمائية مع ما تقتضيه هذه العملية من تعقيدات مختلفة ، وانتظار طويل حتى تتم عمليات تجهيز الارصفة الاصطناعية والاطواف المربعة المصنوعة خصيصاً لمثل هذه الغاية .

وقد كانت الصعوبة من الشدة بحيث ان المسؤولين قد فكروا في الاتيان بارصفة تامة البناء والتجهيز من جزيرة قبرص كذلك النبي استعملها ايزنهاور في معركة النورماندي ليحول الشواطئ الرملية الى مرافئ ضخمة واسعة . ولكن بحرياً واحداً لم يتحمل مسؤولية جر هذه الارصفة عبر ٤٠٠ كيلو متر من بحر قد يشور في كل وقت وتعصف به الرياح الشديدة .

وهكذا وضعت خطة الانزال بحيث تتم عملياته بواسطة السفن البرمائية . وكان البحريون الفرنسيون يراقبون سير العمائة « لافودر » حول القارة الافريقية مع ما تحمله في احشائها من مراكب ضرورية بقلق شديد . أما في دور الصناعة البحرية فقد كانت عملية التجديد للسفن البرمائية تجري بسرعة بالغة في الليل والنهار .

وكان من حسن حظ المنظمين للحملة أنهم وجدوا على مسافة عشرة كيلو مترات من بور سعيد شاطئاً نموذجياً صالحاً للانزال .



كان الفرنسيون فقراء جداً في السفن التي تصلح للوصول الى البر ومد جسر سريع ثم قذف ما تحتويه من سيارات واجهزة مختلفة لانهم لم يكونوا يملكون منها غير اربع فقط . اما البريطانيون فقد كانوا أغنى منهم في هذا النوع من السفن لانهم يملكون منها ١٧ . وبالعكس كانت تنقصهم المراكب الصغيرة التي تحمل جنود الهجوم وتستطيع الوصول الى بر اي نوع من انواع الشواطىء .

وهناك صعوبة اخرى رئيسية في عملية بور سعيد : فالحق ان الانزال فيها لا يعني انزالاً في مصر بل في جزيرة قائمة وسط بحيرات صغيرة يصلها بالبر سد صناعي طوله اربعون كيلو متراً وموازل للقناة .

ان الدفاع عن هذا المرتفع من الارض سهل يسير بواسطة حقول الالغام والمدافع المحبوة في باطن الارض . ومن الممكن ان نعرض المغير مزعجات كثيرة ، ومن الممكن ان يفقد هذا المغير شيئاً كثيراً من الزمن لاجتيازه ، والمئات من الدبابات المرسلة لا تصلح لشيء ما لم تكن فوق ارض جامدة قائمة وراء القنطرة ، فلا تستطيع ان تمر الا واحدة وراء الاخرى ، فاذا وقفت دبابتان مصريتان في مكان مناسب امام اول دبابتين من طاوور دبابات المغير فانهما تساويان بقوتها ٤٠٠ دبابة ، مع العلم ان عبد الناصر يملك اربعمئة دبابة .

اما فيما يتعلق بالماء الصالح للشرب فقد وضع المخططون للامر عدته تحسباً لكل طارئ ، فقد يغلق عبد الناصر أنابيب

المياه ، لهذا حملت كل سفينة ناقلة بين ١٠٠ و ٢٠٠ طن من الماء الصالح للشرب ثم أعيد النظر في التوقيت ، توقيت نوازيخ الانزال والتحميل والتفريغ والاقتراب من الشاطئ . ولكي يدرك القارىء ضخامة حملة « الموسكينير » نخبره ان الكتاب الذي جمعت فيه المعلومات المختلفة باللغة الانجليزية تبلغ ثخاته ٢٠ سنتيمتراً ، اما باللغة الافرنسية فقد بلغ حجم كتابين من معجم لاروس .

وكان كتاب خطط الانزال المرسل الى رجال البحرية يساوي حجم لاروس الصغير . وبلغت ثخانة كتاب تعديلات الخطط ١٥ سنتيمتراً .

لقد وضع التنسيق بحيث تستطيع الدبابات والسيارات الخارجة من السفن البرمائية الصغيرة ان تدرج فوق البايبة في الوقت نفسه الذي تنزل فيه بواخر المستودعات حولتها من الوفود ، كما يجب ان تحمل المترجمين الى العربية الذين يدلون رجال الحملة على معالم الطريق ويساعدونهم على التحقيق مع السكان والاسرى . ولا يسع الاسطول ان يبحر قبل ان تكون آلات الراديو التابعة لقيادة الاركان على صلة تامة بعضها ببعض الاخر .

اما المراسلون الحربيون في بور سعيد فيسفرض عليهم النوم في العراء ثمانية ايام لأن انزال الحيم والسراقات ان يتم قبل اليوم الثامن الذي يلي عملية الانزال .

وهكذا كلما مر الزمن منذ اوائل آب كانت الحملة تتضخم

وترداد ثقلاً . و كانت كل مصلحة من المصالح تتخيل في كل يوم  
صعوبة جديدة فتحاول تذليلها . لقد وعد الاتحاد السوفياتي  
حكومة مصر بارسال غواصات اليها . فالحقت بالاسطول  
غواصات مماثلة ومقاتلات للغواصات . و كانت الحكومة المصرية  
تخرج من المستودعات البريطانية التي وضعت تحت حراسة بضع  
مئات من المدنيين ما كانت تحتاج اليه . فكان في معسكر  
التل الكبير مثلاً ما يزود مليون رجل بما يحتاجون اليه من الألبسة  
كما كان في بعض هذه المعسكرات طرايبد والغاماً . ولهذا  
تقدمت كاسحات الألغام البحرية لتنظيف البحر من الغامه . كما  
دعيت في الدقيقة الأخيرة كاسحات بريطانية خاصة لتقطع الحبل  
الحديدي الذي قد يمدّه عبد الناصر حول بور سعيد ، ثم طبعت  
في مطابع خاصة في المانيا اوراق نقدية كتب عليها  
« الاحتلال في مصر » .

وفي هذه الاثناء كانت الشركات البحرية الفرنسية ترسل  
النداء تلو النداء الى البواخر الماخرة في البحر فتصدرها لمصلحة  
هذه الحملة وتعدّها للاشتراك فيها .

واخيراً تقرر ان تبدأ حركة الساعة الكبرى في اواسط  
ايلول . وسجل المراسلون الصحفيون في شارع القديس دومينيك  
في مصلحة استعلامات الدفاع الوطني تحت قيادة الكولونيل  
« لاشروا » وفي مصلحة لندن المماثلة لها . أما المقدم « فروا »  
فقد كان من واجبه أن يرافق هؤلاء جميعاً وفي جوارير مكتبه  
الشارات المطرزة واذونات تجهيزاتهم العسكرية .

وكان المصريون ينتظرون عملية الانزال بين الثالث عشر والرابع عشر من ايلول . ولكن انتظارهم كان قبل الاوان . وفي الثاني والعشرين من ايلول اصبحت الحملة او كادت على قدم الاستعداد . فكانت السيارات المدرعة التابعة للفرق الميكانيكية السريعة السابعة تقوم بتمارينها المختلطة مع البحرية فوق شواطئ الجزائر ، وهي تستهدف في مناورتها تحرير مدينة بوجي من ضغط النوار الجزائريين . كما وضعت على قدم الاستعداد سفن كثيرة ، تستطيع نقل ثلاث فيالق باسلحتها الكاملة من الجزائر الى قبرس خلال ثلاثة ايام فقط .

اما القادة فكان يتزايد شعورهم بعدم جدوى جزيرة قبرس اكثر فاكثرا .

وكان السيد ايدن على الخصوص غير مستعد بعد لتقرير بداية الحملة . اما موافقته للسيد موليه فلم تضعف ابداً . لقد كان مستعداً دائماً للتدخل شرط حضور الفرصة المناسبة .

وكان الرئيس ايزنهاور يقول : انه لا يسهه ان يطالب الدول المثارة بالقوة ، بعدم الرد بقوة بماثلة . ثم يضيف : ولكن المهم ان نحضر المناسبة التي تبرر استعمال القوة .

وعلى هذا فالمناسبة لم تحضر . وعبد الناصر كان يبعدها بعناية تامة . وكان دالبس قد اتى الى لندن ايمتح جمعية المنتفعين من القناة جسداً نحتاج اليه - ولكنه جسداً لا اسنان له . فكان موقفه معدر خيبة مريرة لكل من ايدن وبينو . لقد كان المقصود من الجمعية ارسال قافلة من السفن الدوائية نجتاز



القناة دون ان تدفع الرسوم المطلوبة للمصريين ، فاذا تركها عبد الناصر تمر فقد خسر هيئته . أما اذا اعترض طريقها فهو بحول دون حرية الملاحة بحيث يصبح اللجوء الى المدفع الزامياً .

لقد جعل مؤتمر لندن الثاني من هذه الجمعية جماعة من أصحاب السفن المسلمين الذين سمح لهم بدفع رسوم المرور الى عبد الناصر ، فكان فشل المفاوضات مخيباً للآمال .

واستقل داليس الطائرة راجعاً الى بلاده في ٢٢ ايلول . وحدث تلاقٍ أخير في « داووننغ ستريت » في لندن بين بينو وايدن ، انفجرت فيه مرارتهما واتفقا على التخلص نهائياً من هذه المعضلة .

أما الحكومة الفرنسية فقد كانت ترى ان يحدث التدخل المسلح بصورة مباشرة . وان الحملة العسكرية المجهزة لفرض دخول القافلة الدولية بقذائف المدافع الى القناة موجودة تحت تصرف حكام الدولتين .

ولكن ايدن اقترح اللجوء ثانية الى هيئة الامم المتحدة . وثار داليس فغضب غضباً شديداً .

لقد عارض وزير الخارجية الاميركية في تحويل ملف السويس الى مجلس الامن ، لان النقض الروسي سيعترض طريقه بصورة آلية ، بحيث تنتهي الوسائل السلمية وتفلس .

— من الضروري ان نتصل بداليس ، هذا ما قرره ايدن وبينو وهما في « داووننغ ستريت » .

فاتصل ايدن بالمطار تلفونياً ، ولما كانت الطائرة قد أقلعت  
أرسلت اشارة لاسلكية الى واشنطن تطلب من داليس الا يصرح  
بشيء الى الصحفيين . ولكن داليس حط في جزائر بومودا ليفنسل  
فيها والسيدان ايدن وبينو يجهلان ذلك .

وعكذا لم يعلن صحفياً عن تحويل الملف الى مجلس الأمن  
الدولي . ولم يجد داليس في هذا ضيراً شديداً . وقد أبرزت  
المناقشات في المجلس هذه الحقيقة ، فامتدت الابحاث الى ١٣  
تشرين الاول . ووقفت تسع دول ضد دولتين - روسيا  
وبوغوسلافيا - الى جانب بريطانيا وفرنسا . غير ان لندن  
وباريس لم تكلفا مع ذلك بتكوين حملة التدخل الدولية .

وقال السيد لويد وزير الخارجية البريطانية : اننا سنعمل  
كل ما يمكن عمله لتحقيق خطتنا . ثم أعلن في بداية المناقشات ،  
ان اللجوء الى القوة لن يتم الا كتدبير أخير ضروري .  
ثم كان الجميع أمام هذا التدبير الأخير .

فاعلم داليس : ان المفاوضات ستتصل كما لو لم يكن نقض  
روسي .

حدث هذا كله في ١٣ تشرين الاول .

وفي ١٥ تشرين الاول توجه الجنرال شال الى لندن ليعيط  
السيد ايدن علماً بالهجوم الاسرائيلي . وفي ١٦ كان ايدن ولويد  
في باريس فتقررت حملة التدخل .

واستيقظ مشروع « الموسكيتير » النائم .

كان الجنرال بوفر على رأس قوازه في الجزائر منذ ١٩

ايلول .

وفي ١٩ تشرين الاول جاءه الامر بالاستعداد لعملية ابجار سريعة . وبدأ لانسلو سلسلة من المناورات المضلة . ثم تركت سفن حربية مرفأ طولون قاصدة ميناء بيزرت بصورة رسمية . وحملت سفن في الجزائر أعلن عن اتجاهها رسمياً الى فرنسا .

وفي ٢٧ و ٢٨ من تشرين الاول ابجرت قوات كثيرة لهدف مجهول ، ولكن الواقع ان الجزائر كلها كانت عالمة بالحقيقة . فهي تتساءل في كل صباح عن مصير السفن الخمس عشرة التي صودرت للتوجه الى مصر . يضاف الى هذا ان ٢٠٠ من الطيارين في البستهم المدنية قد لفتوا الانظار بعد نزولهم في فندق سانت جورج وهم المعدون لمرافقة الحملة الى قبرس .

اما البحرية فقد بقيت أمينة على سرها ، فتلقى الضباط رسائل مغلقة طلب اليهم فضاها في وسط البحر ، وكانت التعليمات تمنعهم من استعمال آلاتهم الاسلكية وتعين لهم مكاناً للتجمع قرب الشاطئ الليبي . وهناك اي عند الشاطئ الليبي - فتح الضباط مغلفاً سرياً آخر أمر بالانتظام في قوافل . أما الاركان البحريون فلم يكونوا قادرين على معرفة شيء آخر عن تنفيذ هذه الاوامر . لان آلات الارسال كانت خرساء . فكانوا يرسلون طائرتين لمراقبة تجمع السفن الصامتة في قوافل . وظهر كل شيء وكأنه يحدث على أحسن ما يرام وفي حدود أقل فوضى ممكنة . واتجهت السفن السريعة الى مالطة لانزال وحدانها

واسلحتها ، أما البطيئة فتأبعت طريقها الى قبرس .  
وقد احتفظ بسر الحملة حتى ان قائد احدى السفن التجارية  
استأذن في النزول الى البر القبرصي ليتلفن . وقال :  
— يجب ان اطلب بور سعيد واسألهم هناك ان يهيئوا لنا حملاً  
من الحضرة الطازجة !  
وقد لا يبعد ان يكون هذا القائد ذا سذاجة مصطنعة .



## جدل عنيف في هيئات الاركان العامة في جزيرة هوميروس

احيل الجنرال كيتلي ، القائد الاعلى لقوات الحملة الفرنسية  
البريطانية ، الى التقاعد بعد اخلاء بورسعيد دون ان يعطى  
تفسير لهذه الاحالة من قبل المكتب الحربي .  
وقد قال الجنرال كيتلي لاصدقائه بعد رجوعه الى لندن :  
« ان ذنبي انني قد نفذت الخطط والتعليقات التي وضعتها الحكومة  
بين يدي » .

فالحق ان هذا القائد قد طلب اليه التكفير عن الاخطاء التي  
تقاسمها على قدر سواء كل من رجال السياسة والجيش .  
ومن الممكن ان يكون السير تشارلز كيتلي قد اقتصر على  
القيام بمهمة الالة الوالد فترك امر العناية بتنفيذ الخطط الجامدة  
لن ألقى بقيادته من العسكريين دون ان يضع الاحوال الدولية  
والحقائق الخارجية المحيطة بالحملة ، موضع الاعتبار .

كما ان من الضروري القول بان لندن هي التي كانت ترسل اليه وحيها ، فتمتخار له نوع العمليات المطلوبة ، وتحدد له نياتها ، وتفرض عليه تردداتها .

وقد لام الصحفي راندولف تشرشل ، ابن ونستون تشرشل ، في مقالة نقدية ، كلاً من السيدين ايدن ولويد ، لانهما لم يدركا خصومة عبدالناصر الشديدة لبريطانيا العظمى منذ اخراج غلوب باشا من الاردن في شهر اذار السابق بتأثير من تدخل عبدالناصر . ولم يأخذا بعين الاعتبار خطورة التدخل السوفياتي في الشرق الاوسط

لقد كان هذا الشهر ، هو الفترة المناسبة لارسال فرقتين عسكريتين من المانيا الى قبرس .

فلو وضعت التكهّنات بصورة مبكرة ، لاجرت قوة التدخل الى فاماغوستا ولياسول على سفن برمائية . وهكذا يحدث الانزال العملي بعد يومين فقط من اصدار الامر فيه . هذا كان على الاقل هو التخطيط البدائي ...

والحقيقة ، ان هذه الخطة قد وضعت موضع الدرس ، في اواسط تشرين الاول ، في العملية المقررة .

اما عملية « الموسكيتير » فكانت تنطوي على صيغتين اثنتين :

موسكيتير - أ - وضعها الفرنسيون لتحقيق حملة - عاصفة سريعة ، ٤٨ ساعة من القذف الجوي لتجميد الطيران المصري ، قذف مطلقين ، انزال خفيف يتبدى من قبرس بسفن برمائية ،

ثم غارة كاسحة سريعة على امتداد القناة مع طائرات مرافق للطوابير . فاذا قضت الضرورة شيئاً وراء هذا ، بعد احتلال المجرى المائي ، فان هجوماً كاسحاً على القاهرة يكون كافياً لتخلص من عبد الناصر .

ان مثل هذا التدخل السريع يقلل من أخطار عملية إيقاف إطلاق النار التي قد يفرضها اتفاق روسي أميركي في هيئة الأمم المتحدة ، ويكشف حقيقة وضع عبد الناصر العسكري ، لا سيما وان الجيش الفرنسي الذي فرضت عليه حروب الانصار خلال ١٧ عاماً أصبح متعوداً على العمليات الخفيفة والسريعة . وكان استعداد السياسيين والعسكريين في شارع القديس دومينيك أميل الى مثل هذا التدبير منهم الى القيام بمظاهرة عسكرية ضخمة بسبب تجربتهم الطويلة في حروب المقاومة .

يضاف الى هذا كله ، ان الحكومة الفرنسية لم تكن تشارك السيد ايدن في ثقته التامة بحياد الاميركيين ، وسلبية الروس ، او المدد الطويلة التي وضعها البريطانيون في حملتهم وقامروا فيها على حلفهم مع اميركا وانشغال الروس بمشاكلهم مع الدول التابعة لهم . فالخطة العاصفة التي اقترحها الفرنسيون كانت تعتمد على تقارير الملحقين العسكريين ، الذين يؤكدون ان الجيش المصري ذو مظاهر خداعة . فالطيارون ورجال المدفعية منه اعجز من ان يقودوا طائرات نفثة او يستخدموا مدافع ٨٤ المقاومة للطائرات ، مع ما تستلزمه من استعمال اجهزة الرادار الملحقة بها . والشيء نفسه بالنسبة الى استعمال افراده بصورة مفيدة

للدبابات المئتين -- ت ٣٤ - التي ارسلها الروس اليهم . فقد كانت السفن الروسية تفرغ في ميناء الاسكندرية حمولة اربع منها في كل اسبوع (على ان يسلم قسم من هذه الحمولة الى سوريا) . ان مثل هذه المنحة في نظر الملحقين العسكريين هي بمثابة تقديم قطار كهربائي حديدي الى طفل في الثانية من عمره .

ومن بين آلاف القصص ، التي كانت تروىها التقارير تلك التي تتعلق باستلام المصريين لدبابات ١ - ا - ام - اكس ، باذن من حكومة فرنسية سابقة .

فقد كان يرافق هذه الدبابات السريعة مهندسون من مصانع دلاهاي . ولكنها لم تكد تصل اليابسة في مرفأ الاسكندرية حتى اصر ضباط آتون من القاهرة على قيادتها ، فشرح لهم الفنيون كيفية قيادتها فاستقلها المصريون واداروا محركاتها . قال لهم المهندسون : انظروا ، فان هناك اشياء كثيرة نجدد بكم الاحاطة بها قبل القيادة .

والكن الضباط المصريين أبعدوا الفرنسيين بخشونة بارزة وانطلقوا بالدبابات . فلم تلبث حتى اصبحت محركاتها بالحلل الشديد بعد ذلك بقليل .

فصرخ الضباط قائلين : ان الفرنسيين لصوص ! لقد باعونا قطعاً من الحديد ! ( هذا ما تزعمه تقارير الملحقين العسكريين الفرنسيين ) .

وقد وافق الاسرائيليون على صحة هذه الوقائع كلها . ثم استدركوا قائلين : ولكن الظروف ستتغير بسرعة بفضل



المدارس العسكرية ومراكز التدريب التي تفتتح بكثرة ظاهرة .

أما واضعو الخطط في أقيية نهر التاميز فقد تجاهلوا هذه الحقائق فتركت الصيغة الفرنسية منذ العشرين من تشرين الأول لاعتبارات عدة .

أولاً : ان قبرس قاعدة بحرية هزيلة ، عاجزة عن استيعاب سفن حملة التدخل الضخمة التي كانت تحمل رجاؤهم واجهزتهم لتنتقل من ثم الى سفن الانزال التي ستحمل الجميع الى بور سعيد .

ثانياً : ان الحملة في حاجة الى السرعة في التجميع في الجزيرة ، ولكن السيد ايدن لم يكن راغباً في القيام بآية حركة قبل ان تغزو اسرائيل منطقة سيناء ، لان دعوى المفاجأة ، المصطنعة كانت شيئاً ضرورياً بالنسبة اليه .

واخيراً فان الصيغة الثانية هي اكثر نجاًوباً مع ما كان يشغل رئيس الوزراء البريطاني ، من تقليل في الحسائر البشرية والمادية الى اقصى حد ممكن ، بحيث اصبحت المعركة معركة نفسية اكثر منها حربية عسكرية .

لقد كانت الصيغة - ب - تعكس في الوقت نفسه مزاج السير انطوني ايدن الدبلوماسي ، وعقلية هيئة الاركان التقليدية ونفوذ الطيارين الذريين .

فكان الانزال الضخم بالمظهر الكبير .

لقد نظمت حملة جوية نفسية ، لعشرة أيام ، القذف بالقنابل

بعد نهاية مدة الانذار .

وكان رئيس الوزراء يعتمد لاسقاط عبد الناصر واثارة الجماهير العربية على ضجة الطبول . يقدم الانذار اولاً ، فاذا كان غير كافٍ لتحقيق الغاية ، فان هزات القذف العنيفة جديدة بالقضاء على كل مقاومة في مصر .

قد يكون هذا هو الحقيقة لو ان طائرات الكانبيرا التي صنعت لحمل القنابل الذرية قد جعلت من القاهرة هيروشيما جديدة . او ان الطائرات المطاردة القاذفة قد هاجمت بالقنابل والصواريخ المراكز الحيوية للمدن الكبيرة وفجرت بيت عبد الناصر ، واوقفت السير في الطرقات والخطوط الحديدية .

ولكن المسألة ليست كذلك ، فالسيد ايدن لم يكن يستهدف غير المطارات بعد ارسال الانذارات المتعددة لاخلائها ، وغير القوافل العسكرية والجناد الحربية . لقد كانت طبوله طبولاً مسرحية في الحقيقة .

وبعد عملية التخويف الساذجة هذه ، نظمت الحطة عملية انزال ذات صخب شديد ، قصد بها ان تدوي في الشرق كله لتعيد الى الاسد البريطاني هيئته .

فيتجه الفرنسيون ، بعد القنطرة ، على امتداد القنطرة ، الى الاسماعيلية والسويس ، ويتجه البريطانيون الى ابو صوير وقواعدهم ومطارانهم المتناثرة في الصحراء .

اما الحركة الاخيرة ، في حالة ظهور مقاومة شديدة ، فهي الانجاء الى القاهرة .

لقد ظهر هذا الانطلاق المهيّب اليوم ، على ضوء الحوادث السابقة ، وكأنه خاضع للعقل الباطن ، وكان مستنداً الى ما اعتقده ايدن من الحياد المشجع للولايات المتحدة ، والثقة في ان قوات الامم المتحدة ستنضم الى القوات البريطانية والفرنسية التي تكون قد تقدمتها على امتداد القناة .

اما السيد موليه فقد كان كايدن راغباً في التقليل من خسائر المعسكرين الى اقصى حد ممكن ، ولكنه يرى مع السيد بورجيس مونوري ، ان حملة مفاجئة سريعة ، معتمدة على المظليين ، ستحقق عملياً دون معركة .

وهكذا استبعدت في الرابع والعشرين من تشرين الاول صيغة « موسكيتير » الخفيفة من قبل البريطانيين ، اسيااد هذه الحملة زعماء منهم ان اسطولاً من السفن المسطحة ، قد يتعرض لخطر البوار والتفريق ، عند اول عاصفة بحرية ، حيث لا ميناء يلجأ اليها في قبرس .

وفي الخامس والعشرين من هذا الشهر كان الاميرائيليوت يعبثون قوائهم في سرية تامة ، بحيث ان العالم الخارجي لم يعرف بهذا الامر الا بعد ذلك بثلاثة ايام .

وفي الليلة السابقة لبداية الهجوم كانت تل ابيب مصابة بالرعدة الشديدة ، ففوق رأسها سيف ديمقليس المسلط ، الذي يهدد مدنها اليهودية بغزو كاسح من قبل القاذفات المصرية ايليوشن .

- « نحن في حاجة الى مظلة نقي مدننا المفترحة من خطر

القذف . فضعوا طائرات للتدخل فوق رؤوسنا . هذا ما كان  
بطالب به بن غوريون مدينة باريس .

لقد القيت « احجار الزهر » فتقرر التدخل . واصبح  
الاسرائيليون الذين هاجموا مصر مستقلين ، من حلفائنا حكماً ،  
ووعدهم باريس بارسال المظلة بعد الابتداء بالمعركة ، بحيث  
اجتازت طائرات الميستير البحر المتوسط خلال اربع ساعات  
فقط . اما السيد ايدن فقد بقي متروكاً حتى ذلك اليوم .

لقد حدثنا احد الوزراء ان السيد داليس كان يتصل بعد ظهر  
كل يوم بالسيد ايدن تلفونياً فيقول له : ايك وارنكاب اية  
حماقة ! وفي الساعة الخامسة من مساء كل يوم كان ايدن يتصل  
بباريس ليتزود بالشجاعة اللازمة .

وثار تائرة الحكومة الافرنسية . لقد كانت واثقة من  
فشل منتظر لهذه الحملة بعد ان رفض الوزير البريطاني الاول  
تحريك اية سفينة نحو القناة قبل بداية الهجوم الاسرائيلي وبعد  
هذه الضخامة وذاك الجلال اللذين اتسمت بهما حملة (موسكيتير) .  
فلا يبع احداً ان يتخيل بان الروس والاميركيين المعارضين  
بعنف لكل رجعة بريطانية فرنسية بالقوة الى الشرق الاوسط ،  
سينجحون بعملية الانزال مع ما يحيط بها من جلال البطء ان  
تتحقق بعد عشرة ايام من نهاية الانذار . فالعملية في الحقيقة هي  
سباق مع الزمن . ولقد ثبت لنا يومئذ ان الانزال سيتم في  
العاشر من تشرين الثاني لان الهجوم الاسرائيلي سيبدأ على  
التأكيد في التاسع والعشرين من تشرين الاول .



وكان السيد بورجيس - مونوري قد ارسل الجنرال شال الى لندن ليقنع المسؤولين بتقديم عملية النزول ثلاثة ايام على الاقل .

وانخذت البحرية الفرنسية استعداداتها اللازمة لبعث الحيوية في الحملة ، فارسلت قوافلها عبر المتوسط والتي ينتظر ان تبلغ بور سعيد في الثالث من تشرين الثاني .

ولقد علمنا ، ان الجنرال بوفر قد اعد عدته في الجزائر لنقل ثلاثة فيالق من المظليين خلال ثلاثة ايام الى قبرس بحيث يتم كل شيء في اول تشرين الثاني ، بالإضافة الى الطائرات والتجهيزات الجوية اللازمة .

ثم قدم الجنرال موعد نقل المظليين الى جزيرة هوميروس ، فخطوا فيها في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ من تشرين الاول بناء على طلب من الاميرال بارجو .

وقد حدث نزول الطائرات في مختلف مطارات الجزيرة ، تضليلاً للجواسيس ، حتى ان البريطانيين انفسهم قد اصابتهم الدهشة حين وجدوا امامهم ٤٠٠٠ مظلي بعد ان لم يكونوا قد عدوا من قبل اكثر من ٥٠٠ مظلي .

كان الجنرال بوفر قد التقى زميله الجنرال ستوكويل في باريس في ٢٦ تشرين الاول وانتزع منه وعداً قاطعاً بتقديم موعد الانزال الى الثامن من تشرين الثاني . ثم قفز الاميرال بارجو في اليوم نفسه الى لندن لينتزع وعداً آخر بتقديم هذا الموعد نفسه الى السادس من الشهر نفسه .

ولكن هذا التاريخ الذي التزمته السلطات العليا - وهو تاريخ الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة - ظهر غير عملي عند ضباط البحرية ، فقد كانوا في حاجة الى يومين للتحميل وستة ايام لقطع المسافة بين مالطة وبور سعيد .  
وتقدم الجنرال شال بجل لبق تطوع الاميرال بارجو باقناع البريطانيين به .

- الا بحق لكم القيام بالتارين ؟ فافا الاميرال لامراء البحر البريطانيين . فاصدروا امركم في مالطة بالقيام بتارين التحميل في ٢٩ من تشرين الاول . فاذا حدث ان ارسل الوزير الاول انذاره ، وسارت الامور في مجراها الطبيعي انطلقت القوافل الموجودة في وسط البحر الى اهدافها في بور سعيد بحيث توفر يومين من الايام الثمانية .

فوافق امراء البحر البريطانيون على هذا الاقتراح .  
وقذف الاسرائيليون مظلييهم صباح التاسع والعشرين .  
وفي الثلاثين منه وفي تمام الساعة الرابعة والرابع من بعد الظهر تقدم السير ايفون كيرك باتريك ، الامين الدائم لوزارة الشؤون الخارجية ، يرافقه السيد بينو ، الى السفير المصري في لندن بالانذار الذي يعبر عن رغبة الحكومتين الفرنسية والبريطانية في احتلال المواقع الاساسية في القناة الا اذا امتنعت حكومتا مصر واسرائيل عن متابعة القتال وسحبتا قواتهما الى مسافة عشرة اميال من ضفتي القناة . وقد قدم البيان نفسه بعد عشر دقائق الى الوزير الاسرائيلي المفوض .

وانتهت مدة الانذار بعد ١٢ ساعة . وحدد السيد ايدن  
المواقع الاساسية للاحتلال فاذا بها : بور سعيد ، الاسماعيلية ،  
السويس .

وقبلت اسرائيل الانذار الموجه اليها ووعدت بالعمل بموجبه ،  
أما عبد الناصر فقد رفضه رفضاً قاطعاً في تمام الواحدة وعشر  
دقائق من الصباح .

وفي تمام الساعة الرابعة كان عبد الناصر يقف على رأس هيئة  
الاركان منتظراً ان نهوي السماء فوقه .

واعلنت الصحف العالمية عن قرب حدوث عملية الانزال ..  
ومرت خمس عشرة ساعة دون ان يحدث شيء جديد اللهم غير  
ما قالته السيدة ايدن في لندن :

- لقد ظننت ان قناة السويس كانت تجتاز غرفة الاستقبال  
في منزلي .

وانبعثت موجة شديدة من المعارضة لحملة التدخل في لندن .  
وارسلت واشنطن رسائلها البرقية . اما سفيرها الذي احاطه  
سلوين لويد علماً بالخبر في الصباح السابق لليلة الهجوم فقد ظن انه  
لم يفهم او ان مخاطبه قد اخطأ في نقل معلوماته . وانطلق  
المعارضون والكومونولث والاساقفة ورجال البترول والسفراء  
يلقون لهيباً وناراً .

ولم يكن في مجلس الوزراء غير ايدن وهيد وزير الدفاع  
الوطني ممن يؤيد حملة التدخل هذه ، حتى ان اويد نفسه كان  
متروكاً . واما بطرولي عهد حزب المحافظين فقد كان على رأس

المعارضة في وسط مجلس الوزراء .

هل سنبدأ اليوم ؟ قالها السيد موليه .

— نعم ، هذا المساء .

وفي صباح ٣١ تشرين الأول بدأت البحرية الفرنسية عملها التأييدي للاسرائيليين فجمى الطراد كيرسانت مدينة حيفا من مدافع السفينة المصرية ابراهيم الاول . واستغاث الاسرائيليون الذين احيط بهم في مدينة رفح بقنابل الطراد « جورج ليج » فكان ما ارادوه .

وفي تمام السادسة والنصف من مساء الاول من تشرين الثاني بدأت الانفجارات فوق المطارات العسكرية في مصر قريباً من القاهرة وفي ابو صوير ومنطقة الكبريت حول القناة ، بعد ان انذر الاهلون والعسكريون بضرورة إخلاء المدارج الجوية .

وقد رفض قائد القوة الملكية الجوية تعريض طائراته الكانبيرا لمخاطر غارات نهائية وأصر على ان تكون الغارات ليلية ومن علو شاهق ١٥،٠٠٠ قدم ، خوفاً من اخطار طائرات الميغ ، اي من علو يتعذر فيه على المدافعين ان ينالوا من الطائرات المفيرة ، وكانت نتائج هذا القذف ضئيلة بطبيعة الحال . فقد اصيبت المدارج ببعض الاضرار ولكن هذا لم يجعلها غير صالحة للعمل على الاطلاق ، كما لم تصب اية طائرة فوق هذه المدارج .

وفي الوقت الذي بدأت فيه حملة التدخل ظهرت آلة الحرب الضخمة التي انطلقت اجزاؤها من مرافئ مرسيليا واندن



والجزائر وقبرس وما لطة ثم اخذت تتجمع في مكان ما في البحر المتوسط ، شيئاً غير نافع ولا مفيد .

ثم تتابعات الاحداث سريعة عاصفة شديدة ، وجاءت التقارير من ملحقنا العسكري في تل ابيب تؤكد ان الاسرائيليين سينجزون احتلالهم للمنطقة الممتدد على طول القناة في ٢ تشرين الثاني .

واستشير الجنرال بوفر في ارسال مظليين فوق الضفة الاسيوية من القناة ، فاجاب :

— انكم شديدو التفاؤل ، فالاسرائيليون لن يصلوا الى القناة قبل الخامس من تشرين الثاني . ولذلك فاني لا استطيع ان اخاطر بارسال المظليين ، وهم زهرة الجيش الفرنسي ، الى منطقة ما تزال في متناول نار الدبابات المصرية ، دون حماية مناسبة .

ولكن الجنرال مارتان كان يصر على ارسال المظليين ويؤكد امكانية حمايتهم بطائرات « س . س . س . ١٠٠ » مع قوة جوية مهاجمة كافية .

وطائرات « س . س . س . ١٠٠ » تسير دون قائد كما يتدلى منها شريط طوله ٤٠٠ متر . وهي صالحة للاعمال الصحراوية . ونقطة الضعف فيها ان شريطها قد يلامس شجرة من الاشجار فتكون نهاية الطائرة .

وقد الحقت قطعة من طائرات « س . س . س . ١٠٠ » بفرقة المظليين في قبرس . وأعد الجنرال بروهون والجنرال جيل قائد

المظليين خطة انزال جبرية فوق المطارات بعد ان يصاب الجيش المصري بالتفكك والطيران المصري بالجحود .

اما البريطانيون فقد رفضوا البحث في هذه الخطط خوفاً من الفضح تعاونهم مع الاسرائيليين . انهم لم يكونوا ينوون النزول قبل السابع من تشرين الثاني .

في هذه الاثناء . كانت هيئة الامم المتحدة في نيويورك في غليان مستمر ، والعالم كله في غضب مقيم على المعتدين .

فاعلم السيد داليس في ١ تشرين الثاني ان فرنسا وبريطانيا واسرائيل قد ارتكبت « خطأ خطيراً » . وباكتوبية ٦٢ صوتاً ضد ٢ قررت هيئة الامم المتحدة مناقشة القضية المصرية بعد ان لم تكن قد فكرت من قبل في الاهتمام بمناقشتها .

وكانت باريس تلاحق امير البحر بارجوا لى لامصرة على القيام بعمل عاجل . وفي الصباح الباكر استقل بارجو طائرة هليكوبتر متوجها الى المعسكر الكبير « اكس » الذي يقم خيامه في منطقة خالية من جزيرة قبرص وحطت طائرته بعد ان ائدت بركانا من الغبار . وخرج اليه من خلال سحب الغبار جنود وضباط ينتظرون الدخول في المعركة بصبر نافذ .

ان كل شيء في قاعدة « تيمبو » الجوية المخصصة للمظليين يعمل كالساعة لمصلحة اسرائيل ، وفي انتظار الساعة الحاسمة للعمل لمصلحة الفرنسيين في الارض المصرية .

وقد اعجب البريطانيون بتجهيزات الفرنسيين الرائعة حتى انهم طلبوا الى الجنرال جيل ، قائد المظليين ، ان يقود مظليهم .

ودخل بارجو على الجنرال كيتلي بقول له :  
ان جهاز عملية الانزال فاسد مضر . فنحن نستعمل حفارة  
عملقة لنثقب صفيحة من الورق . نحن في سباق مستمر مع هيئة  
الامم المتحدة ، فمن الواجب ان نغير خططنا رأساً على عقب .  
وانني اقترح عليك عملية « الاوميليت » .

وفتح الجنرال الطيب كيتلي عينين كبيرتين أمام هذه  
« الاوميليت » وهو في ضخامة « كبورتنوس » وفي لباقة  
« كآراميس » .

ان الخطط النورية عند المظليين تتلاحق باطراد في كل مساء  
عند تناول الطعام . وهذا شيء طبيعي بالنسبة اليهم .

انهم لا يتحدثون الا عن هجمات عمودية تسمح باحتلال منطقة  
القناة كلها خلال ١٢ ساعة ، وذلك بالنزول في المطارات الضعيفة  
التحصين وإنزال قوات فيها بعد ساعات قليلة تحملها طائرات  
كثيرة .

قد يكون هذا جنوناً ، لو كان هناك طيران عدو . ولكن  
السماء المصرية خالية ، والطائرات السوفياتية في الارض تتحول  
الى بقايا معدنية صدئة .

وقد تجعل المدفعية الناجعة ، المضادة للطائرات ، مثل هذا  
المجوم شيئاً خطراً جداً ، ولكن البطاريات المصرية تصخب  
وتعنف وتنقصها المهارة ، والدقة في الرمي .

اما دبابات عبد الناصر فلم يكن الامر بالنسبة اليها ، امر دفع الغزو في مناطق الانزال . لانها كانت تحت رحمة حواريخ طائرات الهجوم التي تطير في سماء تسيطر عليها قوات جو الحلفاء سيطرة تامة . والدبابات في مثل هذه الحالة تعجز عن مقاومة طائرات الهجوم الصاعق . انها لا تستطيع ان ترفع انابيب مدافعها الى السماء ، فهي ارنب تحت سلطان صقر منقض من الجو . اما الدبابات في اوروبا فهي اكبر حظاً منها هنا . لانها قادرة على الاختباء في الغابات الكثيرة ، والتخفي بالاعشاب والخروج في الليل . اما في الصحراء فهي عريه ، كل ما يسير في الصحراء قريبة باردة للطائرات المطاردة القاذفة . كانت عملية « اوميليت » التي حملها بارجو الى كيتلي ، وهو قائده المعاون ، جريئة للغاية ولكنها قليلة الخطر حتى أبعد الحدود .

وهي لا تستغني عن عمليات الانزال البحرية الضخمة ، فوحدات حمة التدخل بدباباتها موجودة في عرض البحر و كانت تتقدم بـ سلسلة من عمليات فذف المظليين المتناسقة في الزمان والمكان في الشمال والجنوب من بور سعيد ، في القنطرة ، والاسماعيلية ، والسويس ؛ فاذا استولى المظليون على هذه الاهداف ، تسارعت عملية الانزال البحري وحدثت في اليوم الرابع من الشهر ثم نتابع التقدم دون اطلاق قذيفة واحدة . يضاف الى هذا كله ان هذه العمليات الجوية قد وضعت لها الحطة مسبقاً من قبل الجنرال جيل . وقد شملت الصور الجوية اهداف الاحتلال الممكنة كلها على امتداد



القناة .

فدهش الجنرال كيتلي ، واكتسب بارجو التأثير اعجاب شريكه البريطاني . واستدعي كل من أمير البحر دانفورد سليتر والجنرال ستوكويل قائد العمليات البرية والجوية بوفر الى غرفة الابحاث وتبنى كيتلي هذه الخطة الجديدة .

وفي اليوم التالي ٢ تشرين الثاني عرف أمير البحر بارجو تلفونياً ان عملية « الاوميليت » قد تركت من قبل القائدين البريين ستوكويل وبوفر بعد ان فرض الاول على مساعده وجهه نظره في معارضة هذه الخطة .

واكدت طائرات الاستطلاع في سماء سيناء ان الجيش المصري يتراجع الى القنطرة وبور سعيد والاسماعيلية ، وهو يتجه بسرعة شديدة بحيث ان القوات الاسرائيلية الضعيفة لا تستطيع الاحاطة به .

وكان دفاع بور سعيد ضعيفاً . ففيها ٣٠٠٠ رجل من الجيش و ١٥٠٠ من رجال الشرطة ، ولم يترك عبدالناصر فيها غير الحامية وسحب فيلقاً من المدفعية وطابوراً من المشاة لاسباب لم تكن مفهومة يومئذ بعد .

فطن البريطانيون ان القوات المنسحبة من بقايا الفرقين الموجودتين في سيناء ستقوي حامية المدينة والقناة بصورة بارزة ، بحيث ان مجموعات المظليين المرسلة الى الارض ستلقى اخطاراً كثيرة قبل ان تنضم اليها القوات النازلة من البحر .

وفي صباح الثالث من الشهر نفسه ، جاء بوفر الى بارجو يرجوه

معاونته في تنفيذ عملية « الاوميليت » فوعده خيراً . ولكن  
بوفر كان مساعداً لستوكويل كما كان بارجو مساعداً لكيتلي .  
وفي الساعة ١١ ظهر آرجع بارجو الى القائد الاعلى المحبوب  
بضغط عليه وقال له :

— ستطالب الامم المتحدة بايقاف اطلاق النار . وكاد  
الاسرائيليون يحملون الفرقتين المصريتين الى فتات . وهم لا  
يسمعهم الا النزول على رغبة الامم المتحدة ، بحيث نعجز عن  
النزول .

وجمع القادة الاعلون وقادة العمليات الاخرى مرة اخرى .  
قال ماريشال الجو البريطاني : هناك صعوبة مادية في  
انزال المظليين باعداد ضخمة ثم في انجادهم بالطائرات ، لان  
الطائرات تنقصنا ، فالفرنسيون يتصرفون بثلاثين طائرة من  
طراز « شمال - ٢٥٠١ » وهي تستطيع ان تنقل الف رجل  
باسلحتهم الخفيفة كل تسع ساعات ، كما ان هناك طائرات  
هيليكوبتر محمولة فوق حاملات الطائرات ، وهي لا تستطيع  
ان تحمل من جنود البحرية الا عشرات قليلة لمسافات قصيرة .  
اذن ، فعلينا ان ننتظر طائرات النقل البريطانية التي لا  
تصل قبل ظهر اليوم الرابع من الشهر .

وهنا برز الموقف القانوني المصطنع الذي تبناه البريطانيون في  
البداية ، وعملوا به على اهمال كل اعداد ظاهر قبل تحقق الهجوم .  
الاسرائيلي الذي يبرر تدخلهم ، فشل العسكريين وهدد بقتل  
العملية الضخمة وهي جنين . والظاهر ان البريطانيين لم يكونوا

يدركون حتى هاتيك الساعات خطورة السباق مع الزمن .  
فباريس تلاحق بارجو امير البحر .  
ولكن بارجو يصطدم بجمود الجهاز الذي وضعته  
لندن .

لنترك عملية « الاوميليت » وهي التي يستحيل تنفيذها في  
مثل هذه الاوضاع . قلها بارجو . ولكن لنصنع شيئاً آخر .  
لنقدم عملية الانزال فنجعلها في اليوم الخامس ، وللنزل مظليينا  
في الليلة السابقة لموعد الانزال فوق بور سعيد ، بحيث يخلون  
ويسحون للدبابات بالتوجه توأ الى الجنوب .

— هذا مستحيل ! قاله امير البحر سليتر مقاطعاً ، فان  
كاسحات الألغام لن تكون في بور سعيد قبل صباح اليوم  
السادس من الشهر .

والواقع اننا قد عرفنا بان عبد الناصر قد استولى على ٤٢  
لغمماً بحرياً من مستودعات البريطانيين في القناة وانه يستعد  
لوضعها امام بور سعيد .

قال بارجو : من الممكن ان اغير اتجاه الدارعة «جان بار»  
وحاملة القوارب « لافودر » وسفننا البرمائية . فارجعها الى  
بور سعيد مباشرة ، بحيث تبدأ البحرية الفرنسية عملياتها قبل  
البحرية الملكية .

فاعترض سليتر بقوة رافضاً قيام البحرية الفرنسية بهذا الدور  
منفردة عن البحرية الملكية .

وقال بخشونة ظاهرة : ان البحرية الملكية لا تستطيع

الاستغناء عن كاسحاتها .

ولا يسع الاسطول المختلط ان يـغامر دون حماية ضد الغواصات البحرية ، كما ان مطارداتنا ضد الغواصات لا تستطيع ان تكون في بور سعيد قبل اليوم السادس من الشهر .

والواقع ان ما بعث على هذا الخوف ، هو ما قيل لنا من ان غواصتين روسيتين او بولونيتين - والامر سواء - متجهتان الى المتوسط ، وانهما قد ربيتا أمام الشواطئ الفرنسية . واجتازتا مضيق جبل طارق في الثاني من تشرين الثاني ، كما ان عبد الناصر قد افتخر منذ اسابيع باستلامه غواصات روسية ، وبما ان ضباطه وبحريته عاجزون عن قيادة غواصة ، فمن الضروري ان يرافق هذه الهدية الروسية متطوعون من السلافين .

لهذا كان هناك ما يرر قلق امير البحر البريطاني .

وفي اليوم التالي ، عرفنا ان الغواصتين قد غيرتا اتجاههما فجأة . وهي ظاهرة جديدة تدل على حذر الروس الشديد الذي لاحظناه خلال اسبوع المأساة كله .

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر ٣ تشرين الثاني اجتمع القادة البريطانيون والفرنسيون .

قال بارجو : أقترح عليكم عملية « تلسكوب » . فلنحتفظ بخططنا ، اذ لا سبيل الى تغييرها . ولكن لنقدم لعملية الانزال المقررة لليوم السادس بقذف مظليين في اليوم الخامس ينظفون لنا منطقة الانزال البحري ، كما تحطم الطائرات البريطانية الفرنسية بطاريات المدفعية في الشاطئ ، مما يحول دون قذف



السكان بقنابل السفن الكبيرة المميتة .

ولكن ستوكوبيل بقي مصراً على رأيه في القيام بهجوم مجابه . فناضل بوفر طيلة بعد الظهر حتى اقنعه بيزات قذف المظليين المسبق فاستسلم الجنرال البريطاني في المساء . ووافق على ان المظليين سيجسسون لنا نبض المقاومة في بور سعيد على الاقل .

— ان المظليين سيستولون على المدينة ! قالها بارجو مؤكداً بثقة تامة .

واعلن الجنرال كيتلي قائلاً : إن وزير دفاعنا سيصل هذه الليلة اليما . والواقع ان وزير خارجيتنا يدينو يرافقه الجنرال شال قد توجه الى لندن لأقناع المسؤولين فيها بجدوى عملية « الأوميليت » التي هي في الواقع تعديل لخطه زرع المظليين على امتداد الضفة الاسيوية للقناة .

وكان امير البحر بارجو ، قد ارسل قائد أركانه ، الجنرال جازان الى المعسكر « اكس » ، ليخرج أفراد فيلق من المظليين من أسرهم .

وفي تمام العاشرة من المساء . وصل جازان إلى القيادة العامة للمظليين . ثم دق النفير . واستعد ٦٠٠ رجل في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فوقفوا امام ابواب طائرانهم في مطار تيمبو . — إنكم سعداء ! هذا ما كان ينادي به الباقون من المظليين زملاءهم الذين يغادرونهم تحت احمالهم الثقيلة .

-- الظاهر أنكم ستستقبلون استقبال الملوك في مصر ،

قائلاً بعضهم .

وقال آخر : أخبر فاروق بهذا الامر فهو بهم !  
في الساعة الرابعة من الصباح الباكر ، كان موكب كبير من  
القبعات ذات الاشرطة المختلفة يمشي ، في ظلمة الليل ، فوق ارض  
( اكرونييري ) . انها ليلة من ليالي الشرق ، لمعت فيها نجوم ضخمة  
فصاغت فوق ارض المطار قبة ساهرة . والحرس من البريطانيين  
يغفلون شاحم ويضعون فوق الصحون قطعاً من الخوى بهذه الساحة  
المحبة التي تدخل الى قلوب الفرنسيين .

وانطلق صدى كصدى تمزيق الحرير . لقد كانت احدى  
طائرات الكانبيرا تحط في ارض المطار ، خرج منها السيد هيد .  
وقد غادر بها لندن عند منتصف الليل بعد جلوس طويلة مع  
الجنرال شال . وكان يرافقه الجنرال غيلر رئيس هيئة الاركان  
الامبراطورية . في هذه المرة كان مجلس الوزراء قد ادرك الحقيقة  
فلم يكن له ان ينتظر اي تسامح من قبل واشنطن ، لان السيد  
آيزنهاور قد صرح بعد أن فاجأته حملة التدخل وهو في غمرة  
معركته الانتخابية ، واعتبرها ناقضة لسياسته المحدودة إلى  
السلام ، قائلاً :

« اننا لن نمجر إلى حرب في الشرق الاوسط . وسنعمل  
كل شيء للحيولة دون تطور النزاع فيه . »  
وكان السيد دالبس قد دخل الى المستشفى لانزعاج سرطان  
من احشائه . ولكن غضب انصار الرئيس آيزنهاور والادارة  
الاميركية ، ليلة الانتخابات ، قد بلغ القمة .

لم تكن واشنطن لجنة مع البريطانيين والفرنسيين . قد كان غضبها شديداً . لقد انتهكوا حرمة السلام ، وفسدوا التوازن العالمي ، ضد مصلحة الولايات المتحدة ، مستعملين لتحقيق غاياتهم ، الاسلحة الاميركية والمال الاميركي .

امير البحر بارجو ، يعرض خطة « التمسكوب » .  
قال : ان انزال المظليين سيوفر على عمليات النزول البحرية صدمات هجوم امامي . وفي وسعنا الاستغناء عن القذف البحري بالقنابل ذي النتائج المدمرة . كما سنوفر اكبر قدر ممكن من الحائز البشرية .

فابتسم السيد هيد أمام الفرنسي ابتسامة عرفان بالجميل :  
- « انني موافق على الخطة البريطانية التي تقول بحماية المدنيين حتى أبعد حد ممكن .

أما في باريس فان بورجيس مونوري يصر دائماً على تنفيذ عملية « الاوميليت » ، والاستيلاء على القناة ثم التوجه بعيداً الى الجنوب .

أما امير البحر فيجيب : ان الشروط الجوية لا تلائم القيام بهذه العملية . واتصل السيد أبل توماس بتل ابيب تلفونياً : فاجابته : الجو حسن جداً ، ولكن هذا لا يعني أنه لا رباح فوق القناة » .

وفي مساء الرابع من تشرين الثاني : كان الوزير يبرق الى « ايبسكوبي » .

- « نفذوا عملية الأوميليت » ، الا في حالة الاستحالة . انتم

وما ترون ،

ومنذ العاشرة ليلاً كان الجنرال ستوكوبيل يذيع على قوات المظليين البريطانية والفرنسية خطة « التلسكوب » . وفي الدقيقة الأخيرة ، وبينما كان الجنرال جبل يستعد لانزال المظليين فوق بور فؤاد ، منطقة الانزال الفرنسية ، تلقى أمراً بانزالهم أولاً جنوبي بور سعيد قريباً من الجسر المتحرك ليفتح طريق السويس عملاً بخطة بارجو الساحقة ، الذي كان يقول دائماً : انه اذا انفجر الجسر وتهدم فاننا سنكون كالجرذان في جزيرتنا . ويمكن المشروع الضخم الذي يحلم الاميرال بارجو بتنفيذه قد تحول في تعليمات القائد البري الى انزال متناثر في مجموعات صغيرة . وتدخل الجنرال جازان للحصول على نجدة . كما تلقى الجنرال جيل قائد مظليينا أمراً بقذف ٤٥٠ رجلاً جنوبي بور سعيد بينما كان البريطانيون في الشمال يقذفون ٧٠٠ رجلاً ليستولوا على منطقة الجميل على امتداد الشاطئ .

وفي الخامس من تشرين الثاني زاد رجال جبل فاصبحوا ٥٥٠ بعد ان احتلوا الجسر الذي يفتح الطريق الى السويس . وقد سأل الجنرال بوفر زميله جيل : هل جندت متطوعين من المصريين حتى زاد رجالك ؟

فاجابه جيل قائلاً : لا ، ولكنني أضفت على مسؤوليتي الخاصة مئة شاب . فليست هي المرة الاولى التي اخوض فيها غمار حرب !

يضاف الى هذا ، ان الجنرال بوفر ، قد حصل على الاذن



بمضاعفة عدد الرجال بعد ظهر اليوم نفسه وذلك بان ينزل عدد آ  
مائاً لهم فوق بور فؤاد ، المدينة التوأم لبور سعيد والمقابلة لها  
في صفة القناة الاخرى .

وفجأة قفز ستوكويل فوق مقعده ، فقد لاحظ ان الفرنسيين  
الذين حددت لهم الحطة الضفة الاسيوية مكاناً لنزولهم سيكونون  
فوق الضفتين .

- ولكن كيف نعمل لوضع خط بين الفرنسيين  
والبريطانيين ؟

- خذ قلماً ازرق يا سيدي الجنرال .

واخيراً حمل خط جميل بالقلم الازرق الى الجنرال المنهجي  
شيثاً من الطمأنينة .

لقد ربحنا ٢٤ ساعة في وقت كنا ننتظر فيه ان تقيد ايدينا  
في كل دقيقة . وفي العاشرة من المساء ، وصلت برقية من لندن  
الى القيادة العامة يطلب فيها السيد ايدن ارجاء العمليات ٢٤  
ساعة ، فخسرنا ما ربحناه . والحقيقة ان هذا التأخير لم يكن  
تأخيراً في الوقت بل هو تراجع عن الحملة كلها .

- ماذا تقول ؟ قالها في الهاتف الجنرال كيتلي متوجهاً الى  
بارجو الفرنسي .

- فكان جواب امير البحر في ثلاث كلمات وجهها كيتلي  
الى رئاسة الوزراء البريطانية : القيادة الفرنسية نائمة !

وفي الواقع ان عملية مسرحية قد حدثت في هيئة الامم  
المتحدة ، فقد اعلنت احدى وكالات الانباء عند المساء ان السيد

أبا ايوان قد وافق على وقف اطلاق النار شرط ان يوافق مصر عليه .

فكلفت هيئة الامم سكرتيرها العام السيد هامرشولد بتكوين قوة دولية لتقوية الهدنة .

واعلنت الحكومة البريطانية ، المرتبطة بدور الشرطي المصطنع ، انه لم يعد في وسعها متابعة التدخل بعد ان لم يعد هناك قريبان يتقاربان .

فتبادل بن غوريون وباريس سلسلة من الاتصالات التلفونية ، ذات طابع مأساتي .

— ماذا قال السيد ايوان على التحديد ؟

— اجاب بن غوريون ان ايوان قد لاحظ بان كل مقاومة منظمة في سيناء قد توقفت . وهذا يعني التوقف عن اطلاق النار ، ولكنه لم يقبل امر التوقف من الناحية القانونية .

وقد اوعزت تل ابيب الى ممثلها في الامم المتحدة بتوجيه سلسلة من الاسئلة الى السيد هامرشولد حول ايقاف اطلاق النار .

— هل هناك قبول دون قيد ولا شرط من قبل مصر ؟ ان كثيراً من عناصر الجيش المصري ما تزال تتابع اطلاق النار في سيناء .

— هل تعتبر مصر نفسها في حالة حرب دائمة مع اسرائيل ؟

— هل يتابع الفدائيون اعمالهم العدوانية ؟

في هذه الاثناء ، وبينما كانت عملية التحقيق الاسرائيلي مع

هامرشولد تتلاحق وجد البريطانيون فرصة لمتابعة التدخل :  
وفي الساعة الثانية صباحاً ، ألغى الوزير الاول امره السابق .  
فانتزع منه الامر بالانزال مرة أخرى .  
وانطلقت اصوات المحركات فوق المطارات . واستقل نصف  
الفيلق الثاني للمظليين طائراته مع تجهيزاته الكاملة تحت قيادة  
الكولونيل شاتور جوبار . وصعد ٧٠٠ رجل من مظليي الفرقة  
السادسة عشرة الى طائراتهم على مشهد من الجنرال بطر . ثم  
انطلقت الطائرات فوق بور سعيد في تمام الاربعين دقيقة بعد  
السابعة صباحاً فبعثت سيلاً كثيفاً من قنابل المدفعية .  
وبدأت عملية الانزال البحري .

## اسرار سيناء

كانت معركة سيناء ، انتصاراً لحطة مضادة ، ذات مهارة فائقة ، اشتركت في تنفيذها ، بجرأة جهنمية ، وحدات نظامية لها سرعة المغاوير ، يسندها رجال من الاحتياط بدرجون فوق سيارات سياحية وشاحنات بائعي الجبن ، ولكنهم يتنازعون اكليل العدوان .

لقد استغل الجنرال موشي دايان تسرع عبد الناصر بجمع من قواعد وقوى كثيرة قريباً من الجبهة الاسرائيلية ، تاركاً وراءه صحراء واسعة ، فهاجمه من الخلف . ولكنه حذر من ان يقطع على الجيش المصري طريقه الرئيسيين ؛ لانه لم يكن يملك من القوة ما يسمح له بمقابلة الجيش المصري ، الذي جهزه الروس ، في معركة نظامية .

ولكن طوابيره الطائرة انتشرت كأسنان المنشار على امتداد هاتين الطريقين ، تفاجىء القوى المصرية ، او نبعت في بعض



اجزائها الفوضى او نحيط بقوافلها التي تحمل نجدات الى الجيش الكبير المتراجع .

وفي اليوم الرابع كان مشط الجنرال الأعور قد اجتاز أرضاً من سيناء لا يقل عمقها عن ١٤٠ كيلو متراً .

كان المستشارون الالمان الذين التحقوا بخدمة عبد الناصر وقادوا العمليات العسكرية في سيناء قد بنوا تحصينات دفاعية فقط حتى عام ١٩٥٥ .

وهم لم يبنوها في المواقع التي كانوا يريدون بناءها فيها . فقد كانت خططهم تقضي ببناء خط خفيف من المقاومة في جبهة النقب ووراء منحني غزة . ثم يتركون فراغاً عميقاً لا يقل عن ١٥٠ كيلو متراً ، يقيمون وراءه مراکز منيعة تحت ظل منطقة جبلية على بعد ٥٠ كيلو متراً من القناة ، من مستودعات للدبابات ومطارات للتحصينات الرئيسية .

وبهذه الطريقة يجعلون الغزاة امام مساحات صحراوية شاسعة تضعهم امام خطر شديد بعد ان يكونوا قد ابتعدوا عن قواعدهم الاساسية . وطبيعي ان هؤلاء الغزاة هم الاسرائيليون . ولكن عبد الناصر لم يسمح لهم بان يفعلوا ما يريدون ، لان ما كان يشغله ليس فقط الدفاع عن القناة ومنطقة الدلتا ، بل القيام بهجمات متتابعة ساحقة على الارض الاسرائيلية بواسطة الفدائيين المنتقمين الذين كانوا يفجرون الطرق والسيارات ويمثلون حرب الثار . فأرغم خبراء الحملة الافريقية الالمانية على ان يبنوا له تحصينات منيعة قريباً من الحدود .

ووقع الاختيار على رفع القنطرة عند الشاطئ خلف غزة .  
وفي الطريق الرئيسية لسيناء ، القاهرة - الاسماعيلية - بير السبع  
- القدس قامت قواعد القلعة المنيعة لايو عجيبة ، عند سفوح  
هضاب ام غاطف حيث يمتد البصر بعيداً في الصحراء .

وفي نهاية ١٩٥٥ استبدل الخبراء السوفييات بالخبراء الالمان .  
فكانت لاولئك خطة اخرى غير خطة هؤلاء : لقد ارادوا ان  
يجعلوا من سيناء نقطة انطلاق لهجوم على اسرائيل ، ابتداء من  
نقطة منطقة النقب الذي يصل ما بين الارض المصرية وجيوش مصر  
من ناحية ثم جيوش الاردن وسوريا من ناحية اخرى ، بحيث  
يجعلونها الى قاعدة للهجوم المركز على الحدود الاسرائيلية تحت  
قيادة مصرية تنضم اليها قوات عربية موحدة .

فبنيت طرق استراتيجية جديدة . وكان احد المنجزات  
الاولى هذا الشريط الاسود الواضح في ارض الصحراء والممتد  
على امتداد الشاطئ بين القنطرة وغزة عبر العريش ورفع .  
ثم عدد من الطرق الاخرى الصالحة للتنفيذ والتغلغل منتهية كلها  
عند مشارف الحدود .

اما في بير كفكفا ( Bir - Gifgala ) فوق ارض المطار البريطاني  
القديم فقد بديء ببناء مدارج تستطيع استقبال قاذفات  
ومطاردات نافورية وكانت تبني أيضاً قواعد ضخمة لاعداد  
الهجوم المنتظر ، وغرف باردة تتسع لمؤونة كافية لسنة أشهر .  
كما جمعت مئات من المدافع والدبابات وسيارات المدافع  
الرشاشة وشاحنات مولوتوفا في منطقة العريش . وخبثت في

باطن الارض محزونات ضخمة من الوقود عند خط الانطلاق .  
وقد اعدت مستودعات رفع والعريش بحيث تستطيع تسليح  
الفرق الاردنية . لقد وضعت فيها مئات الاغطية ومئات من  
اطنان الذخيرة التشيكية ولكن هذا المنطلق الهجومي الكبير  
يحتوي على نقطة ضعف لم تغفل عنها القيادة الاسرائيلية . لقد  
كان من الممكن توجيهه الى الوجهة المضادة ، بحيث تنفتح  
الصحراء كلها أمام المغيرين الذين يتركون وراءهم الجيش المصري  
المنظم ويقفزون في الابعاد الواسعة ليقوموا بمناوراتهم العسكرية .  
كان الاسرائيليون مستعدين .

ولكنهم في الدقيقة الاخيرة شعروا بالحاجة الملحة الى مظلة  
من الطائرات القادرة على رد عادية غارات جوية كاسحة من قبل  
المصريين فوق مدنهم المكشوفة .

وكان مشروع الحلفاء في تحطيم الطيران المصري كافياً لخل  
الطمأنينة الى قلوب الاسرائيليين ، لولا انهم كانوا سيتحملون  
مسؤولية المعركة مستقلين خلال ٤٨ ساعة ضد اقوى طيران  
في الشرق الاوسط .

ان طائرات - المستانج - والاوراغان - والميتيور - التي  
يملكونها عاجزة عن مقابلة النفاثات السوفياتية . فمنحتهم الحكومة  
الفرنسية خمسين من طائرات الميستير - ٤ - ، وهي مطاردات  
متفوقة على طائرات الميغ ١٥ ، سريعة سرعة الصوت ومزودة  
بسنة مدافع . اما الكنديون فلم يفوا بعهودهم التي تقدموا بها  
في تسليم الطائرات المطاردة القاذفة ف ٨٦ اليهم .

يضاف الى هذا ان الطيارين الاسرائيليين الذين كانوا يتدربون خلال الصيف على قيادة طائرات الميستير - ٤ - والتي وضعت تحت تصرفهم لم يكونوا قد أنهموا بعد تمارينهم . لقد كانت المدرسة الجوية مشرفة على نهاية دروس القتال ، وكان عدد من الطيارين عاجزاً عن قيادة الطائرات بصورة عملية قبل اليوم الرابع الذي كانت تنتهي فيه هذه الحرب .

وعلى هذا ، فان معركة سيناء ستكون اساسياً معركة طيران جوي . ان سيد السماء في قطاعات شاسعة لا ملجأ فيها للطواير والدبابات هو سيد الارض ، والسيارات المدرعة والشاحنات تلتصق بالارض على جانبي الطريق فوق القسم الاكبر من سيناء . فاذا ابتعدت عن الطريق ساخت في الرمال الناعمة وتتحول الدبابة الى فريسة باردة مكشوفة للطائرات المزودة بالصواريخ والمدافع .

كان الاسرائيليون يستهدفون انزال المظليين بعيدياً في الصحراء وراء الخطوط المصرية لاشاعة الفوضى في مواصلات المصريين وتحطيم معنوياتهم .

ولكن وسائلهم العسكرية هزيلة جداً ، فلا يسعهم ان يناموا في شبه الجزيرة كلها ، دون الاستفادة ، عند الحاجة ، من تموين جوي التمسوه عند باويس ، قبيل بداية عملياتهم ، وهم يعلمون انها لن ترفض لهم ما يطلبونه ، وهم من ناحية اخرى ، لم يكونوا قادرين على انزال مظلييهم فوق الطريق المحورية الكبرى حيث يتعرضون سريعاً لضرب شديد من قبل قوات كبيرة



جوية ومدركة . لقد كان عليهم ان يختاروا منطقة جبلية لا  
تصلها الدبابات ، ثم تصلح في الوقت نفسه لانزال جوي .  
ان احتلال سيناء كلها من قبل الجنرال موسى دايان ،  
بالنسبة الى الفرنسيين ، هو ذو اهمية خاصة ، لان حملة التدخل  
لن تضطر الى السير على امتداد القناة بين جيشين مصريين ، جيش  
سيناء وجيش الدلتا ، ولن يكون عليها الا ان تقابل القوات  
الآتية من القاهرة .

وهكذا استجيب لنداء اسرائيل ، فارسلت ثلاث مجموعات  
من الطائرات المطاردة والمطاردة القاذفة الى ارض اسرائيل  
للدفاع عن مدنها المكشوفة . كما وضعت تحت تصرف الاسرائيليين  
اربع طائرات حديثة جداً من طراز ( شمال - ٢٥٠١ ) لتتمية  
امكاناتهم في قذف المظليين والتي لم يكن لهم منها من قبل غير  
طائرات داكوتا القديمة .

اما فرق المظليين والطوابير العاملة دون تمويل فقد كانت  
تلقى مؤونتها الهجومية من قاعدة قبرس .  
وسيكون في وسع الطائرات المطاردة والمطاردة القاذفة  
الفرنسية ان تتدخل في المعركة ضد الطوابير المصرية بعد تأمين  
الدفاع عن المدن المكشوفة .

وجرت التعبئة الاسرائيلية في سرية مطلقة منذ ٢٥ تشرين  
الاول ، فدعي المهندس باتصال تلفوني ، والمزارع بيرية ،  
واخرج الحلاق من سريره بنقر على باب بيته .  
كان يقول احدهم لزوجته النائمة : ان رقيبى في الجيش قد اتى

بأخذني .

لقد كان لكل جندي من جنود الاحتياط سلاحه وثوبه العسكري في خزانة بيته .

أما الطلاب فقد وجدوا أمام أبواب مدارسهم شاحنات تقلهم إلى مراكز التعبئة ، كما أوقف سائقو السيارات عند منعطفات الشوارع ، فكان يعطى لكل منهم بطاقة تعين له مكان التجمع . وأما الفلاحون الذين كانوا يأتون إلى السوق مع بغالهم فقد تلقوا بطاقة من نوع آخر ، لا يلبثون بعد استلامها أن ينطلقوا إلى أمكنة التجمع التي عينت لهم .

وفي يوم الجمعة ، وقبل بداية الهجوم بثلاثة أيام كان ١٥٠,٠٠٠ شاب وشابة تحت السلاح بأثوابهم الأميركية الكاكية . قيل لهم : المهمة غير خطيرة . فلن يطول أمرها ! كما لم يدع كل رجال الاحتياط بسبب عدم الحاجة اليهم .

وتشكلت الطوابير في المعسكرات ، فسائق السيارة الصغيرة مع سيارته ، وقائد الشاحنة مع شاحنته ، وكذلك شأن الكوآئين وبائعي الحلويات فقد انطلقوا بسياراتهم العاملة في خدمتهم . لقد صودر كل شيء حتى سيارات التنظيف . واخفيت السيارات بسرعة تحت طبقة من الوحول والتراب المبلل . وكذلك صنع بالدبابات المصرية التي دهنت مرة أخرى بعد الاستيلاء عليها . وخضع الاحتياطيون لتمرينات كثيفة على الأسلحة ، وعلى دبابات ١ - م - أكس ، وسيارات الجيب المسلحة بمدافع ٧٥ ومدافع ١٠٦ الثابتة الانابيب . ثم رفض اليهود اليمينيون استعمال الأسلحة

لان اليوم السبت . فجيء لهم بالرباني ليقرأ لهم في التوراة ان  
المكابيين كانوا يقاتلون يوم السبت أيضاً .

كان يجب ان يتقدم الصفوف ٣٢٠٠٠ رجل من الجيش  
الاسرائيلي . ومنذ الاستيلاء على القناة سحب عبد الناصر قسماً  
من قواته التي لم تكن تقل عن ٨٠،٠٠٠ رجل الى الدلتا .

قال الجنرال موشى دايان : ان عملياتنا اكثر من غارة واقل

من حرب .

والحقيقة انه لم يكن يعرف بنية العدو ان الاسرائيلي من  
الضباط الاسرائيليين غير ثلاثة فقط . اما مكتب عمليات الجنرال  
دايان فلم يعرف بحقيقة ما سيحدث الا قبل بداية العمليات بثلاثة  
أيام . ان للسرية والارتجال في مثل هذه الغارات المفاجئة اثراً  
مدهشة ، والحماة في الحرب لا تكفي لتحقيق كل غاية .

لقد استعان الاسرائيليون بنوع مرتجل من التجهيز ، فكانت  
سيارات الفنادق والجزارين والسياح تنطلق عبر المناطق الشاسعة  
الصامتة مرافقة للدبابات المنجبة في طرق البغال ومعالم طرق  
الجمال حيث تاه اليهود تحت قيادة موسى .

وكانت الطوابير تتحرك في مجموعات ، والجرحى ينتظرون  
طويلاً ليحملوا بعد ذلك الى طاولة العمليات الجراحية . أما  
المراسلات فقد استعملت فقط في حدود الوحدات الصغيرة . وقد  
تقذف فوق بعضها بعضاً .

كان الجنرال دايان هو نفسه رئيس هيئة أركان حربيه ، وكان  
يقوم بمهمة ضباط الاتصال مع طوابيره الاربعة ، فهو في كل مكان .

بسيارة القيادة حيث تدعو الحاجة .

كانت فرق المشاة تسير بحماية نار المستنقع والمينور والاوراغان ويطلق أفرادها النار على مسافة ٢٠٠ متر امامهم .  
أما مدرسة موسى دابان العسكرية فهي حرب الانصار .  
انقد كان في العام الثاني عشر من عمره حين استعمل البندقية  
لاول مرة . ثم فاجأه البريطانيون وقضي عليه بالسجن ٥ سنين .  
وفي سنة ١٩٤١ هرب من السجن والتحق بالبريطانيين ( او كما  
يصحح : بالاستراليين ) على الحدود السورية .  
اصيب بجرح خطير ففقد احدى عينيه ولكنه اكتسب هيئة  
القرصان .

وفي ٢٩ تشرين الاول وصلت ثلاث مجموعات من طائرات  
الميستير - ٤ - المطاردة والمطاردة القاذفة الى قاعدة اللد منطلقة  
من قواعدها الفرنسية في ديجون وسان ديزيه . وقد اجتازت  
المتوسط بقفزتين خلال اربع ساعات . قفزت من باري في ايطاليا  
الى قبرس ومن قبرس الى اسرائيل . فاستقبلت استقبال المنقذين .  
وفي مساء يوم وصولها بدأ الهجوم .

ولم تكن طائرات الميستير - ٤ - في حاجة الى قاعدة نعملها  
معهها ، فقد لقيت في اسرائيل الصيانة المطلوبة والاختصاصيين  
الفرنسيين الملحقين بطائرات الميستير الاسرائيلية التي سلمت الى  
دولة اسرائيل منذ أسابيع .

ولم يكن البريطانيون على علم بهذه النجدة الكبيرة . لكن  
الجنرال بروهون في كل حال قد نبه قائد الطيران الملكي في



في قبرس، لا سيما وهو مساعد له، واخبره ان ستين طائرة فرنسية  
سقطت فوق مدارج اكروتييري في قبرس .

ان ما كان يصنعه الفرنسيون مع الاسرائيليين لم يكن يعني  
البريطانيين الذين يرفضون معرفته . فمرت المطاردات الستون  
وكانها رسائل بريدية .

كانت المطاردات والمطاردات القاذفة تقوم بنهات استطلاع  
وحماية خلال اليومين الاولين . وقد امرت هذه الطائرات بالعمل  
من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال فقط بسبب ضيق  
بعض الاراضي الاسرائيلية التي لا تحتمل اكثر من طيران دقائق  
قليلة . وللحيلولة دون الدخول الى الاجواء السورية والاردنية .  
لقد كانت الحماية نفسية اكثر منها مادية . فلم تحتاج هذه  
الطائرات الى اعتراض غارة كثيفة لنفاثات مصر ، لان وجودها  
كاف للحيلولة دون القيام بمثل هذه الغارة .

اما هدف الاسرائيليين الاول ، فهو اشاعة الفوضى في صفوف  
المصريين . فصوبوا مدساً نحو القناة على بعد ٢٠٠ كيلو متر  
من النقب .

وفي ليلة ٢٩ تشرين الاول القبي فوج من المظليين على بعد ٤٠  
كيلومتراً من السويس أمام بحر متلا . فوصل الى أرض صخرية  
معزولة دون ضجة .

في هذه الوحدة القاحلة ، كان المظليون قادرين على تنظيم  
أنفسهم دون خوف كبير من سيارات المصريين المدرعة . فالمر  
لا يشرف الا على طريق فرعية واحدة . ومن هناك كان في وسع

الهجوم الاسرائيلي ان يبلغ سريعاً في الشمال الطريق المحورية الكبيرة : اسماعيلية - بير السبع .

وفي الليلة نفسها تلقى المظليون الاسرائيليون مؤونتهم واملحتهم الثقيلة من قبرس : خزانات مياه ووقود وسيارات جيب مزودة بمدافع ثابتة مضادة للدبابات القيت فوق اطواف مخفية للصدمات ، وذخيرة . وقد قامت سرية تموين المظليين الفرنسية في مطار تيمبو باول مهمة ليلية لمصلحة الاسرائيليين . ومن ثم اخذت هذه السرية تنطلق في الصحراء في كل ليلة تزرع الماء والوقود وسيارات الجيب التي كانت تحتاج اليها الطوابير كي تبلغ القناة .

لقد كان الهجوم الاسرائيلي مفاجأة تامة لعبد الناصر . وفي الليلة السابقة كانت اصوات عربية تقول : « انه يوم الفرع بالنسبة الى امرا ئيل » والتحقت جيوش سوريا والاردن بالقيادة المصرية ، ورجع عبد الحكيم عامر قائد اركان البلدان العربية الثلاث مطمئناً الى القاهرة .

لقد احتاجت هيئة الاركان المصرية الى ثلاثين ساعة لكي ترسل فيلقاً من المشاة الى بحر متلا وتم اجم المظليين الاسرائيليين بالطائرات .

وفي مساء ٢٩ تشرين الاول اخترق طابور آلي اسرائيلي مركز الكونتيلا على الجبهة خلال عشرين دقيقة فقط عند اسفل نتوء النقب . ثم انطلق من خلال معالم القوافل نحو الغرب في انحاء المظايين . ولكنه لم يلبث حتى ساخ في محيط من الرمال المائعة ،

فكانت العجلات ذات السلاسل تدور في الفراغ مستهلكة وقودها . وكانت المدافع تتأرجع فوق القوّهات البركانيّة حيث يفوق الرجال حتى بطونهم . وفي الفجر أرغمت الفرقة على ترك نصف دباباتها وثلاث مدافعها في هذا البحر الجاف .

ثم انطلق من ميناء ايلات طابور آخر نحو خليج العقبة ليلتقي الطابور الاول أمام حلّة قاماد عند السادسة من صباح اليوم التالي . فكانت هناك حقول من الألغام وقذف بالقنابل من مدافع تشيكية ثابتة من قبل سرية من المشاة المصريين قائمة في اعلى المنحدرات الكلسية ، فتوقف السير . ولكن الدبابات والمدافع الاسرائيلية قد قضت على الخندق الاول وكبدت العدو ٦٠ قتيلًا . الا انها كانت من البطء بحيث وصلت أربع طائرات مصرية من طراز « فامباير » آتية من اقنّاة . فضربت قوافلها بالمدافع الرشاشة في محاولات ثلاث وكبدتها خسائر كبيرة .

وفي مساء ٣١ تشرين الاول التقى الطابوران بمجموعة المظليين أمام بحر متلا بعد القضاء على مركز نخل ، في وسط سيناء ، الذي لم يقاوم مقاومة تذكر .

كان المظليون قد ضربوا بالمدافع الرشاشة من قبل طائرات فامباير أيضاً . وهي طائرات نفّاثة ، قديمة نسبياً ، يجد الطيارون المصريون في قيادتها سهولة اكبر من تلك التي يجدونها في قيادة طائرات الميغ السوفياتية ، ثم رجعت أربع طائرات فامباير اخرى الى الهجوم . ولكن طائرتين من الميستير الفرنسية كنّا

في السماء فاسقطنا ثلاثاً منها . ثم عقبناها ست طائرات من الميع المصرية واشتركت في معركة عنيفة جداً ضد النفاثات الاسرائيلية . ولم تلبث طائرات المينيور حتى اقبلت فقتلت برشاشاتها الطابور المتقدم في فجوات الجبال .

لقد وقع الطابور الاسرائيلي في كمين هياه الفيلق المصري الذي كان قد اتخذ مواقعه بعد ان وصل الى الممر في كهوف على جانبي الطريق . واكتسحت المطاردات المصرية هذه الغافلة المحمودة . فحاول الاسرائيليون ان يضلوا خصومهم المتمركزين وراء الصخور بالتسلق الى قمة الفجوات . ولكن الطائرات جاءت تحصدهم حصداً . وكانت الطائرات الاسرائيلية عاجزة عن مد يد العون الى القوات البرية . فقد كانت الصخور التي يقاتلون حولها غامضة شديدة الانبهام .

فخلع الجنود قمصانهم فوق الاحجار ليصنعوا بها خطا تستطير أن تطلق طائراتهم ناراها على مسافة ١٥٠ متراً منه . ولكن هذه المحاولة أيضاً قد باءت بالفشل .

وجاء المساء لحسن حظ الاسرائيليين واضطرت الطائرات المصرية للرجوع الى قواعدها .

وانتظر الاسرائيليون حتى الثالثة صباحاً لينتقلوا الى الهجوم بالقنابل اليدوية والسكاكين على نقاط ارتكاز المصريين فوق الهضاب الوعرة . ساعتان من نضال قاس عنيف ، ترك فيهما المصريون ٢٠٠ قتيل . أما الحسارة الاسرائيلية فهي كما اعلن عنها : ٥٠ قتيل و ١٠٠ جريح . واصبحت الطريق حرة الى



السويس وراء بحر منلا .

وفي الليلة السابقة تراجع طابور مصري من السيارات المدرعة  
كان قد اتخذ طريقه الى منلا بعد ان هاجمه المطاردات  
الاسرائيلية .

ودخل جزء من الفرقة الاسرائيلية المتقدمة مدينة بورتوفيق  
نجاه السويس . أما الاجزاء الباقية فقد سارت على امتداد الشاطئ .  
وقذف مظمليون فوق آبار البترول في طور في ٢ تشرين الثاني  
عند الساعة السادسة والنصف مساء . ودامت المعركة حول  
الآبار يوماً كاملاً .

وفي الخامس من تشرين الثاني ، وجدت القافلة نفسها أمام  
طرف شبه الجزيرة عند شرم الشيخ الذي كان قد بلغه طابور  
اخر منطلق من ميناء إيلات ومتجه على امتداد خليج العقبة ،  
بجتازا طريقه خلال الصخور وفجوات الجبال والاحجار المشهورة  
باستعالة اجتيازها . لقد كان جنود الحفر يوسعون الطريق  
بالديناميت لتسر فوقها الدبابات والشاحنات . وقد نثرت هذه  
الاخيرة جسورها الخلفية ، ومحاور عجلاتها ونوابضها الحديدية  
وهياكلها في الصخاري المتعجرة .

لقد وجدت هذه القافلة نفسها وهي المؤلفة من اثني سيارة  
عند نقطة انطلاقها في مساء ٣ أمام أحد أهدافها التي كانت  
الاسرائيليون في أشد الحاجة اليها : انه قلعة رأس نصراني ،  
التي كانت مدافعها الموضوعة تحت ملاحي من الباطون المساح  
موجهة نحو جزيرة نيران فتجول منذ سنوات دون مرور

المراكب الاسرائيلية في الممر البحري الضيق الذي يغلط خليج العقبة .

لقد كان مرفأ إيلات مدينة مينة في نهاية الخليج بسبب هذه البطاريات . وكان الاسرائيليون يقاربون القلعة من بابها الخلفي ، فترك المدافعون المصريون قطعهم التي تعجز عن حمايتهم وانطلقوا لاجئين الى شرم الشيخ في طرف شبه الجزيرة حيث كانت توجد حامية مؤلفة من ١٥٠٠ رجل .

لم يكن الاسرائيليون يتقدمون فوق الطريق المعبدة الا بجذر شديد . لان نار الحامية توقفهم ولذلك ثبتوا في مراكزم ينتظرون طائراتهم الخاصة .

اما الحامية فقد استبدلت في الدفاع عن نفسها بعد ان عزلت في شرم الشيخ . وقد وجب ان تتدخل الطائرات بقوى كثيفة فتستعمل قنابل النابالم المحرقة للقضاء على المقاومة .

ثم هرع بعض من المدافعين عن طريق الشاطئ ، مستقلين مراكب صغيرة الى جون سليمان على الضفة السعودية القريبة . ووقع الباقيون من الاحياء جنوداً وضباطاً أسرى في أيدي الاسرائيليين .

هذا والمركة من أجل طريق القاهرة قد بدت معقدة تعقيداً من نوع آخر . ان أشد المراكز صلابة وقوة هو مركز ابو عجيبة في هذه الطريق . وقد وجدت فيه القوات الاسرائيلية الزاحفة نحو الغرب الى القناة ناراً كثيفة . وعندما اقترب موسى دايان فاجأته نار المدفعية القوية ، وأدرك أن احتلالها سيكونه

جهداً ونضحيات .

ثم لم يحقق رغبته فيوغم الحامية المصرية على الاستسلام الا بعد ان اشتركت الطائرات من الجو تساندها دبابات ثقيلة من البر ، في معركة قذف قلبت أرض المنطقة رأساً على عقب .

لم يكن يخطر في بال عبد الناصر ان الهجوم الاسرائيلي سيكون هجوماً واسع النطاق . فلما شعر بشمول المعركة ورأى إقدام اليهود على خوضها بكل ما يملكون من قوة أمر فرقة من قواته المتمركزة في الدلتا بالاتجاه نحو الجبهة . ولم يكذب فعل حتى انفجرت فوق رأسه في مساء ٣١ تشرين الاول اول القنابل البريطانية المدمرة في أرض مطار القاهرة .

وفي صباح اليوم التالي كانت أفواج طائرات الحلفاء تضرب الطابور الآلي الطويل للفرقة المتجهة نحو الجبهة في سيناء ، لقد كانت هذه الطائرات طائرات فرنسية .

لقد كان لتدخل طائرات الحلفاء فضل اخلاء الجو فوق الجيوش الاسرائيلية وتحرير القادة والجنود والشعب الاسرائيليين من الخوف الذي كان يجثم فوق صدورهم .

وهكذا أصبح المصريون بين نارين ، بحيث توقف الطابور الآلي منتظراً الطائرات المصرية التي وصلت سريعاً لمقابلة العديد من طائرات الحلفاء والاسرائيليين . فاسقطت ثلاث طائرات اسرائيلية من طراز « موستانج » وطائرة من طراز « ميستير الحديثة » .

في هذه الاثناء كان المصريون في رفح يخوضون معركة عنيفة

ضد الغزاة ، الذين أرسلوا في ليلة سابقة سرية من المهندسين لتنظيف الأرض من الألغام والأشرطة الشائكة . ولكنهم لم يلبثوا حتى فوجئوا بنار كثيفة أوقفتهم . فطلب الجنرال موسى دايان من الاميرال بارجو بعد ان شعر باستحالة اختراق التحصينات المصرية ان ينجده بسفن حربية تدك له هذه التحصينات . فارسلت اليه الدارعة جوج ليح التي قصفت هذه المنطقة باربعمئة قنبلة من مدافعها الضخمة . وفي تمام السادسة صباحاً انطلقت القوات الاسرائيلية مهاجمة بعد ان اطمأنت الى انهيار المقاومة او هكذا ظن قادتها المسؤولون .

وكم كانت المفاجأة شديدة حين اضطرت هذه القوات الى خوض معركة عنيفة ضد الحامية المصرية التي لم تكن تريد عن سريتين مسلحتين تسليحاً قوياً .

ودامت هذه المعركة ثلاث ساعات . وفي تمام التاسعة انتهت بتراجع ما بقي من جنود السريتين .

ثم تشكل طابور اسرائيلي آلي وتابع تقدمه نحو العريش . بحيث أدرك عبد الناصر حدود المؤامرة الواسعة المحبوسة لاحتلال سيناء كلها بالتعاون مع الحلفاء .

وكانت النهاية المنتظرة لمثل هذه العملية التي قضى أصحابها أسابيع طويلة في إعدادها بين لندن وباريس وقبرس وتل أبيب .



## القوة الجوية :

### امر بربح الحرب دون القيام بها

كانت هناك على الاقل مفاجأة بريطانية فرنسية على هامش المفاجأة الاسرائيلية العدوانية ، التي لم تكن فرنسا غريبة عنها . لقد توقف الطيران المصري عن العمل . وتوقفه هو الذي وضع للحملة شروطها . ان الاسطول لم يكن قادراً على الاقتراب من الشاطئ ، وانزال جنوده قبل القضاء على طائرات ايليوشن القاذفة التي كانت تملكها مصر . وكذلك الامر بالنسبة الى طائرات الميغ التي لا يقل عددها عن ١٢٠ ومئة طائرة اخرى اقل جودة من هذه .

ورغم توقف الطيران المصري فقد ارتفعت الاصوات قائلة في كل مكان بأن الحملة على مصر حملة ذات نتائج تدميرية من جوانب مختلفة . لقد كان الجميع في خوف مقبم من القوة التي أصبحت مصر تتصرف بها . لا سيما وان ترميم ما خرب من هذه

القوة يمكن في حدود مدة قصيرة جداً بمساعدة السوفيات . وقد اكتشف مكتب المعلومات الاسرائيلي ان لجنة آتية من موسكو قد بلغت القاهرة لتفاوض المصريين في تزويدهم بأسلحة جديدة بعد حدوث عملية الانزال في بور سعيد بأسبوع واحد . ثم ظهرت بعد شهرين طائرات ميغ ١٧ فوق سماء مصر وهي اكثر قوة واعظم تسليحاً من طائرات ميغ ١٥ ، مؤكدة صحة هذه المعلومات . والحقيقة ان هذه الطائرات قد خرجت من ورشات التركيب الموجودة في الاسكندرية بعد ان فتحت الصناديق التي تضم أجزائها والموجودة في أرض مصر منذ مدة طويلة .

والثابت أيضاً أن هذه التجهيزات الجديدة لم تصل بسهولة بعد تغير الظروف السياسية وتدخل الولايات المتحدة تدخلاً مباشراً في شؤون الشرق الاوسط .

اقد قاتل الطيارون المصريون قتالاً ضارباً في سيناء . وضربوا الطوابير الاسرائيلية ضرباً عنيفاً موجعاً . ثم امتنعوا عن متابعة الضرب بعد ان اصبحت مطاراتهم باضرار فادحة سببها الطيران الفرنسي البريطاني .

وقد اضطررنا للرجوع الى باريس لاكتشاف السبب الاساسي لهذا التجمد المفاجيء : فعرفنا ان مطارات الدلتا والقناة قد قذفت بالمدافع الرشاشة والصواريخ في فترات متقاربة جداً لا يفصل بين الواحدة والاخرى اكثر من ربع ساعة فقط أو عشر دقائق في كثير من الاحوال . فلم يكن الميكانيكيون

المصريون قادرين على الخروج من مخابنهم خلال هذه الدقائق القليلة ، اذ لا يكادون يصلون الى المدارج حتى يفاجئهم طيران المتحالفين بغارة جديدة .

واذا عرفنا ان الطيران الالماني لم يحدث من الاضرار فوق مطارات بريطانيا ما أحدثه طيران المتحالفين في مطارات مصر أدركنا قيمة تدخل البريطانيين والفرنسيين .

مألنا الجنرال بروهون عما عسى يكون رد الفعل في قاعدة أوروبية أمام مثل هذا العدد من الغارات ...

فاجاب : قد يتاح للطائرات في البداية أن تخرج او تحاول الخروج ... ولكن الامر لا يلبث حتى يصبح في مرحلة الاستحالة ..

هناك شيء بقي في الخفاء ، هو المدة المحددة بين الانذار وبداية عمليات الانزال . إن هذا الانتظار الطويل قد قضى على كل امكانية في نجاح الحملة التي تستهدف عزل عبد الناصر وايجاد حكومة مصرية جديدة قبل ان يتدخل الامير كيون والروس حماة مصر الدوليون .

ان شرح هذا السر ونوضيحه هما في الحقيقة تاريخ الجانب «الجوي السيكلوجي» من الحملة .

كان ايدن الدبلاوماسي الفطري كارهاً منذ البداية للقيام بعملية انزال بحرية ، دون حوادث ، وكانت للطيران أفضليته الكبرى عنده . فالطيارون لا ينزلون الى الارض ، ولا يطلقون النار ، ولا يخربون ولا ينتهكون الحرمات . انهم جنود كاملون ،

جنود غائبون .

وفجأة أنصت ابدن باهتمام كلي الى أقوال قادة الصيراث الملكي الذين يعيشون في جو الحرب الذرية . فأكدوا له ان تحقيق الهدف ممكن عن طريق القوة الجوية فقط .

لا شك ان ما ذكره هؤلاء القادة صحيح حتى ولو لم يستعن ابدن بالقنابل الذرية ، لقد كانت قوات الطيران الملكي تستهدف اشاعة الشلل والجمود في أرض مصر كلها بعملية جوية سيكولوجية حاسمة . فضرب مركز القيادة في القاهرة بالصواريخ بينما تحترق أرض المطارات بقنابل الطائرات التي تطير فوقها ، وتباد المراكز العسكرية التقليدية : المراكز الكهربائية ، والمحطات ، والمراكز الاسلحكية ، والمستودعات والجور وخزانات الوقود الخ . وتهاجم الطرق والمخطوط الحديدية ، ويمنع كل انتقال ، ثم يهاجم الجنود في ثكناتهم ومراكزهم الخاصة . كل هذا جدير بتحقيق الاهداف التي يرمسون .

يضاف الى ما سبق ان الجنرال فرجوسون ، أحد الاختصاصيين في حرب الاعصاب ، يبيع عشرات الاطنان من النشرات التي اعدت لالقائها فوق المدن المصرية والتي يبور بها الحلفاء ضرورة اسقاط عبد الناصر .

وسئل الطيارون فآظفروا عدم ايمانهم ببقية هذه الطريقة ، كما آظفروا قليلاً من الحماسة لقذف المدن بالحجج المطبوعة ، حتى ان القيادة العليا في قبرس قد استغنت عن القاء هذا الناج من العواطف الطيبة فوق منطقة الدلتا .



وترك فرجوسون الجزيرة ، مقتنعاً ان سبب فشل الحملة راجع الى عدم التوجه نحو العقبة السياسية للفلاحين وسكان المدن .  
ومهما يكن الامر ، فقد ظهرت الحطة جذابة في نظر السيد ايدن حتى الفترة التي بدأت فيها دراسة التفصيلات .

لم يكن الغرض من الحملة ان نجعل من القاهرة روتودام جديدة أو كوخيتري أخرى ، لا سيما وان نار المطاردات القاذفة قد بلغت من دقة الاصابة حداً مدهشاً . أما أهداف الضرب لكل من الصواريخ والمدافع المتعددة فلا تزيد على ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار . ومن النادر ان يخطئ طيار بحرب مثل هذه الاهداف باجهزته الاليكترونية .

كان ايدن يكرر القول : انه يجب ان لا تضرب غير الاهداف العسكرية التي يخليها العسكريون بعد ارسال التنبيه اليهم . ونحن لا نريد ان نحارب مصر أو نشيع الاضطراب في حياة المدنيين اليومية ، ومعنى هذا في نظر الفرنسيين هو محاولة الوصول الى الغاية دون التوصل اليها بوسائلها الطبيعية .

ان فشل هذه الحرب الجوية التي تجري على شكل المطرقات مقدر بصورة مسبقة ، وكذلك حملة « الموسكيتير » التي بنيت ووضعت على هذا الاساس .

ان اصرار ايدن على التمسك بعملية الحرب الجوية السيكلوجية هذه والبطء الفاضح الذي فرضه عليها فرضاً قد أشاعا الشلل في آلة الحلفاء الحربية .

ولما اقترح الفرنسيون تقصير مدة الامل ٤٨ ساعة لم يأل

السيد ايدن وسعاً لايجهاد حجة يؤخر بها الانزال البحري الذي لم يكن راغباً فيه أبداً : انه لم يكن عازماً على التحرك بآية سفينة بحرية من مالطة قبل بداية الهجوم الاسرائيلي ، لأنه لم يكن يريد ان يتهم بالتواطؤ مع اسرائيل . وبين مالطة وبور سعيد مع التحميل والتفريغ ثمانية أيام كاملة او سبعة على الاقل ...

أرسل الوزير الشاب جورجيس مونوري منذ بداية آب الى لندن شاباً مثله هو الجنرال بروهون - أحدث قادة الجو الفرنسي عمراً وأبرزهم في قيادة أحدث الطائرات النفاثة ، وهو صديق البريطانيين منذ سنة ١٩٣٥ ، كما كان على آثار لورانس في الحجاز .

ثم أصبح في خدمة مكتب المعلومات البريطاني ، في عهد فيشي ، وعندما خاف من الفضيحة جاءت إحدى طائرات لوكهيد فحملته الى لندن . وهناك خدم في الطيران الملكي قائداً لمجموعة من طائرات هاليفكس القاذفة ، فمز برلين وهمبورغ والروور . وقبيل أن يستدعى لتنظيم المكتب الثالث للقوة الجوية في جادة فكتور كان قد اجتاز مدرسة القتال في الطيران الملكي بنجاح . واشتغل خلال أربع سنوات مع الجنرال رايلي في البانتاجون . وتعاون دحية الكوايس الوزارية والدبلوماسية في جيش الاطاسي . ولم يكن غريباً عن أحدث الطائرات النفاثة الاجنبية ، مما جعله قائداً لقاعدة ريمس حين زودت هذه القاعدة بالمطارادات القاذفة من طراز « ثاندر ستريك » .

إنه طويل رفيق حاسم . فهو جنرال شاب طيار كالذلك  
الذين يرسمون في المجلات النسائية . ولكنه مؤمن معتزل على غير  
رغبة ضباطه . إنه في الحقيقة مشفق جوي ، ذئب يلتهم الكتب  
في المكاتب ولا سيما المكاتب البريطانية .

كان عليه ان يدافع عن رأيه الذي تسانده فيه الحكومة  
الفرنسية : وخلاصته ، ضرب جوي في حدود المطارات ترافقه  
عمليات انزال للمظليين على امتداد القناة لتأمين مراقبة المجرى  
المائي الدولي خلال أربعة أيام .

اما عملية الانزال البحري فتصبح بعد ذلك عملية شكلية بحجة .  
نحمل الى بور سعيد قوات ودبابات ضرورية لتحقيق الارتباط  
بين النقاط الاستراتيجية بعد ان تكون المدينة وهذه النقاط كلها  
قد سقطت في ايدي المظليين .

واصطدم هذا الرأي بالذكري التي يحتفظ بها البريطانيون  
عن الأفواج التي بقي بها من الجو فوق نيجاج وأرهيم فتعرضت  
للإبادة والتفرق . وكان الجواب على خطته : لا إنزال للمظليين  
الا اذا ضمنت مساعدتهم بعد ١٢ ساعة من وصولهم الى الأرض  
على الأكثر . فالمظليون لا يمكنهم ان يكونوا اكثر من كشافة  
لعملية انزال قوية .

اما قائد الطيران البريطاني الفرنسي الذي عهد اليه أمر  
الانتصار في الحرب دون ان يخوضها فلا يسعه احتمال مسؤولية  
التعليمات المتناقضة التي كانت تفرض عليه . كان ماريشال الجو  
بارنت رجلاً منظورياً على نفسه قصيرا القامة مكشوف الجبهة وعشيراً

اشعوب الشرق الأوسط . انه آخر مسن ترك من الصياد  
البريطانيين أرض مصر . لقد كان فيها حتى حزيران ١٩٥٦ . وهو  
طيار ممتاز وقائد موهوب بسلطة صامدة . كانت اشتراكه في  
المناقشات اشتراكاً يبعث على الإعجاب ويثير الى روح  
عملية عنده .

وقد عمل الطيران الفرنسي والبريطاني مندمجين دون احتكاك  
مزعج . وفي ٤ تشرين الثاني استقل بارت مع قودة العمليات  
الآخرين سفينة من سفن الاسطول وعهد بالقيادة الى معاونه  
الفرنسي الذي مارسها حتى وقف اطلاق النار .

في ١٤ آب ، كان سائقو السيارات الذين حالت فترة اجازتهم  
يلعنون وبصخبون في الطرق التي ينزلون بها قافة لا تكاد تنتهي  
من السيارات الضخمة الى الشاطئ ، ٢٥٠ شاحنة تنجيه نحو مرسيليا  
من بينها شاحنات محمولا ٤٥ طناً . انها قاعدة رئيس التي تنتقل  
الى قاعدة قبرس . ومهما يكن من ضخامة القافة فقد استطاعت  
العشرة الآلاف من اطنان التجهيزات والمواد المختلفة مع ثلاثة  
آلاف رجل أن تكمل السفر تقريباً في الحفاء .

وقد حملت القاعدة معها مصنعا من الاوكسيجين المائع كانت  
أخف قطعه تزن عشرين طناً . وكان الفراغ في طائرات النادر  
ستريك من القلة بحيث ان قناتي الاوكسيجين المخصصة للطيارين  
لا تكاد تجد مكاناً لها . فبدلت بقناني من الاوكسيجين المائع .  
أما في قبرس فلم تكن حاجة الى ابتياع هذه القناني بالفرق لان  
المصنع كله قد حمل اليها ، كما حملت ورش الاصلاح بكامها .



فتخضع طائرات ف ٨٤ بعد ساعة طيران واحدة مثلاً لعملية  
تفتيشية فاحصة لا تقل عن ١٢ ساعة يشترك فيها عدد من  
الميكانيكيين الاختصاصيين . هذا اذا لم تكن هناك ضرورة  
للاصلاح .

وكانت قواعد ستراسبورغ وتولوز تزود المقاتلين بالاجهزة .  
فحملت في البحر رافعات عملاقة ، وتسعون من مستودعات الوقود  
سعة كلها منها ستون طناً . كما حملت اجهزة رادار لتوجيه  
الطائرات وحبال هرتزية لربط الميادين المختلفة بمراكز قيادات  
الاركان . يضاف الى هذا كله مئات من ساحنات الصواريخ ،  
والرشاشات وقطع التبديل .

كانت عملية تفريغ هذه الجمولات الضخمة في مرفأ فاماغوستا  
الهزيل شيئاً أشبه بعمل البهلوان . فرفعت حبال هرتزية ،  
وهي أحدث مبتدعات التكنولوجيا الى قمة جبل ترودوس بواسطة  
طيارين أتوا من ألمانيا .

وكان البريطانيون يقولون : ان رفع هذه الجبال مستحيل .  
ولكن الذي حدث ان العمل قد تم خلال ٤٨ ساعة .

لقد حاز الكولونيل جوتبيه ، قائد قاعدة ريمس ، شهادة بطولة  
غير منتظرة بعد قيامه بعملية النقل والتفريغ . وقد كان جديراً  
به ان يصبح بطلاً عالمياً لو انه اشترك في مسابقة جوية أولمبية .  
انه في الاربعين من عمره ، وهو أحدث زعماء الجوّ الفرنسيين .  
اجتاز مدرسة القتال ، واثبت من أعظم المنظمين الموهوبين .

ولما وقعت الواقعة كان ميكانيكيوه يعملون تقريباً دون نوم خلال أسبوع كامل . وكانت الطائرات تملأ الساحات كلها فقد بها المنافذ . ولو حدثت غارة مصرية لكانت بحجرة رهبة جداً .

لقد حمل الفرنسيون معهم ما يستخدمون به مئة مطاردة قاذفة . فلم يسعهم ان يحملوا الى اكروتييري غير مجموعتين من طائرات « ف ٨٤ » : اربعون طائرة آتية من رئيس ، و١٥ ثاندر فلاش آتية من كونيالك . أما في تيمبو فقد كان المظليون ينصرفون بأربعين طائرة من طراز « شمال ٢٥٠١ » . أما في ابيسكوبي ، مركز القيادة العامة ، فقد كانت للجنرال بروهون قيادتان ، إحداهما رسمية كـمعاون لما ريشال الجو بارنت البريطاني وثانيتها سرية كقائد اعلى للقوات الفرنسية في اسرائيل . وقد كلف رئيس أركانه الكولونيل برديرزا بقيادة حركات المطاردات القاذفة الموجودة في حيفا واللد ، بالتعاون مع الجنرال موسى دايان .

يضاف الى هذا ان ضباط اتصال امريائيين كانوا يعملون في ميدان اكروتييري على خطوتين من غرفة العمليات الفرنسية البريطانية دون ان يعلم بهم البريطانيون .

وفي ٢٢ تشرين الاول و ٢٥ و ٢٦ ، اجتمعت الطائرات الفرنسية مياه البحر الى اسرائيل مارة بالقرب من الشواطئ المصرية ، وهي مغامرة لا بدري أحد ما عسى يصيب حلياري

الحلفاء بها من مفاجآت في الجو . وقد كان في وسع المدربين السوفيات والتشيكيين بالتعاون مع خيرة طلابهم ان يشكوا قوة طيران مخيفة . ولكنهم لم يقودوا الطائرات التي كان زملاؤهم المصريون في عجز نسبي عن قيادتها . والظن القائل بان سبب هذه الظاهرة هو انشغال الروس باحوالهم الداخلية وثورات الدول التابعة لهم فيه شيء من المبالغة . على ان الواقع ان الروس قد كشفوا عن تعقل وحذر شديدين في مصر .

فاكتفى هؤلاء المدربون الذين في وسعهم تنظيم غارة كاسحة فوق قبرس بابعاد عشرين قاذفة الى مطار في الاقصر على مسافة ٥٠٠ كيلو متر من القاهرة جنوباً ، وينقل بعض طائرات الميغ الى المطارات السعودية والسورية والاردنية ، يضاف اليها عشرون قاذفة من طراز ايلوشن . كما لم ترایة طائرة من طائرات الميغ ١٧ ذات القوة الفائقة والتي افتخر عبد الناصر بامتلاك عدد منها ، والتي كانت في الظن الغالب موجودة في صناديقها في ورشة التركيب التي رفع الروس قواعدها في الاسكندرية .

اما طائرات المتطوعين التي كان في وسعها خلال ساعات قليلة - ريثما يحف دهانها الجديد - ان تأتي من القوقاز وبلغاريا فتحطم الحملة المرسله واسطوها الضخم فقد رفض خرمشيف ارسالها الى مصر . وقد ابلغ المسؤولين المصريين رأيه بواسطة دبلوماسييه في بورسعيد والقاهرة .

كل شيء كان يحدث وكأن هناك حياداً متبادلاً بين الروس والاميركيين . فالروس لا يرسلون متطوعين ، والاميركيون

يعترضون المتحاملين . والنسوية النهائية لمعضلات الشرق الاوسط  
لن تعني غير القطبين الكبيرين .

وفي تمام السادسة من صباح ٣١ تشرين الاول تساءل الجميع  
عن السر الكامن وراء الجهود الجوي الحليف بعد ان انتهت مدة  
الانذار . فكان الجواب ان الطيران الملكي يرفض ان يتعرض  
قاذفاته لخطر ملاقات الميغ ١٧ التي تفوقها في السرعة والقوة الا في  
الليل وعلى علو شاهق لا يقل عن ٤٥٠٠٠ قدم .

وفي اواخر هذا النهار الضائع ، وعند تمام السادسة والنصف  
من المساء ، سقطت أول قنبلة من طائرات الكانبيرا ذات المحركين  
النفائين فوق مطار المازة .

كما وصلت من مالطة في الوقت نفسه مجموعة من الطائرات  
ذات الاربعة محركات نفائة تحمل قنابل زنة كل منها ٥٠٠  
كيلوغرام . وفي الدقيقة الاخيرة ، وقد استيقظ ضمير ايدن ، صدر  
الأمر بعدم ارسال هذه الطائرات بعد اقلاعها وفوات الأوان .  
ان القاذفات التي ترتفع الى ١٥ كيلومتراً في الجو وتسير بسرعة  
الف ميل في الساعة لا يمكن ان ترى اثناء الليل . وغاراتها عملية  
حسابية اكثر من اي شيء آخر . ومراقبتها في حاجة الى اجهزة  
فائقة التعقيد يشرف عليها اختصاصيون ذوو تجربة طويلة وتنبه  
دائم يتتبعون تنقلاتها باجهزة الرادار خطوة خطوة ويسجلون  
مراحل هذه التنقلات على لوحات ضخمة بحيث ترسل المطاردات  
في الوقت المناسب اعدم قدرتها على الطيران الطويل .  
ومن الواجب القول ان « مصر » بلاد ذهبية » على حد تعبير



الطيارين . فاجرو فيها حسن صاف في الغالب الكثير ، وتضاربها واضحة كما لو انها خريطة وضعت للصفوف الابتدائية : القناة ، والذيل ، والصحراء ، والمدن البيضاء في النهار ، والمشعة في الليل . ولكن هذه الافضلية تعمل لكل من المهاجم والمدافع . والحق ان المصريين كانوا يملكون بعضاً من اجهزة الرصد المعقدة لمتابعة الطائرات المغيبة . فلمهم في بور سعيد والاسكندرية بعض اجهزة من الرادار الفرنسية ولهم في القناة ، جهاز رادار روسي . أما فيما سوى هذه المناطق فقد كان الفراغ التام .

لقد عجزت طائرات ايليوشن وميغ عن مقابلة الغزاة لافتقار المصريين الى آلاف من الاختصاصيين الذين يصلحون للسهر على طائرات أسرع من الصوت . ولذلك أقبلت طائرات كانبيرا وفالينانت الذرية تلقي قنابلها فوق المطارات الكبيرة في الدلتا والقناة . وفي اليوم التالي انطلقت طائرات التصوير الرائعة التي تسلمها الافرنسيون من الاميركيين وهي تحمل أحدث مبتدعات التكنيك التصويري الحديث بالاضافة الى براعة المصورين الفرنسيين .

أما نتائج هذه الغارات فقد كانت مخيبة للغاية . والسبب في ذلك ان الضبط في اطلاق النار وارسال القذائف متعذر من علو شاهق . فقد ظهرت الطائرات المصرية سليمة من كل أذى وبقيت مدارج المطارات صالحة للاستعمال ، والدليل على ذلك ان أربعين ايليوشن قاذفة قد اختفت منذ الفجر ، فارسل عشرون منها الى مطار الأقصر ، وعشرون اخرى الى الارض السعودية يقودها

المدرسون السوفييت والنشكبيون السويي كوا واحده قد دبرن على  
قيادتها بسجاح تام .

كما اخفيت مصر من عشريق طائرة من طائرات بيعة .  
ما الطائرات الباقية وهي كثيرة فقد حطفت بسلامة من  
كل اذى .

وقبل ان تشرق شمس اليوم الاول من تشرين الثاني بدأت  
عملية التخريب الكبيرة . فانطلقت مجموعات من الطائرات  
الافرنسية القاذقة ( ٤٠ طائرة ) ومجموعات بريطانية ( ٤٠  
طائرة ) وطائرات ثلاث محركات ( ٢٠٠ طائرة ) تحرب على  
التناوب ارض مصر . فتلقف بصواريخها وقذائف ومئات كل  
ما تلقته من مطارات وثكنات ومراكز عسكرية مختلفة .  
لقد كانت تطلع من مطار أكروتيري اربع طائرات قاذقة  
في كل دقيقتين ثم ترجع بعد ساعة ونصف لتفلسح ولعود الى  
غاراتها كره اخرى .

ان الحجة الانسانية في غير حاجة الى جهد كبير لتصور  
ضخامة هذا الضرب الطبيع الذي لدول ارض مصر من نقصها  
الى اقصى . بحيث ان الطيار المصري والميكانيكي المصري لا  
يجدان من الوقت ما يسمح لهم بالخروج من الملاهي ، والالتجاء  
الى المدايح ، فلا يكادان يفعلان حتى تكون موجة جديدة من  
الطائرات المعبرة قد وصلت .

وتتابع القذف على هذه الصورة مدة الساعة صباحاً حتى  
السادسة والنصف مساءً ، بحيث استحال الاقتراب من الطائرة

جاءة فوق الارض .

وفي الليل انطلقت القاذفات كل منها ثلاث مرات او اربعاً .  
اما في اليوم التالي فقد زاد عنف القذف واشتركت طائرات  
جديدة مزودة بقوة تخريرية كبيرة من طراز الكور-ير  
والارومانش مع الطائرات السابقة في ضرب الاعداد المختلفة .  
وقد سألنا الطيارين الفرنسيين عن سرامتناح المصريين عن  
مقابلة طائراتهم فكان مما قالوه : ان عبد الناصر قد فكر في  
الاحتفاظ بطياريه وميكانيكييه على أمل أن يحل الروس  
المنطوعون محلهم . وقد يكون هذا الرأي صحيحاً حين نعلم ان  
عبد الناصر قد أمر قواته بالانسحاب من سيناء والنمرکز في  
الدلتا وحول القاهرة ، فتلقى بعمله هذا تقدير الجميع .

وقد نجد توافقاً بين سلبية الطيران المصري وبين الأمر الذي  
اصدره عبد الناصر الى أحسن قواته في بور سعيد بالانسحاب من  
المدينة قبل بداية عملية الانزال البحرية .

وبذلك كان عبد الناصر من البراعة بحيث وقف أمام هيئة  
الامم موقف الضحية البريئة ليجعل من تدخلها شيئاً ذا  
فعالية تامة .

ولو ان السيد ايدن قد قبل بالقيام بحرب سريعة صاعقة  
لكفينا مؤونة الهزيمة والفشل . إنه كان يصر دائماً على خوض  
معركة جوية سيكولوجية يستهدف بها تحطيم اعصاب المصريين ،  
ظناً منه ان ضرباً جويماً متلاحقاً سيفرض على عبد الناصر ان  
يتنازل عن رئاسته وعلى الشعب ان يتمرد على قاداته .

لقد كانت التعليمات واضحة حامية: لا تضربوا المدن والتجمعات  
الاهداف العسكرية فقط. واستثنيت محطة الاذاعة من الجسور  
والطرق والحطوط الحديدية والسيارات فاذن بضربها بالقنابل  
فاقبلت طائرات الكانبيرا تقذفها ، فاذا بها تسجل اصابة طفيفة لم  
تلبث الاذاعة من بعد ان عادت الى نشاطها خلال ساعات قليلة.  
وانجحت الطائرات القاذفة من بعد ذلك الى ضاحية من  
ضواحي القاهرة نجعت فيها مئات من الدبابات والسيارات  
المدرعة . فقابلتها نيران حامية شديدة ولكنها قذفت هذه  
التجمعات بالصواريخ والقنابل .

أما اجهزة الرادار في الاسكندرية وبور سعيد وابو سلطان  
في قناة السويس فقد دمرتها الطائرات الفرنسية .  
كانت مدافع المصريين المضادة للطائرات في غضب مقيم ،  
وكانت تتحسن وتسجل نجاحاً في اصابة اهدافها يوماً بعد يوم .  
وكان عدد الطائرات الافرنية والبريطانية المعطوبة غير قليل .  
وقد اعترف الطيارون الذين واجهوا هذه البطاريات ان  
رجال المدفعية المصريين ماهرون وشجعان . فهم في البداية على  
قسط قليل من التدريب ، ولكنهم لم يلبثوا خلال ثمانية ايام حتى  
سجلوا نجاحاً عظيماً مخيفاً في اصابة اهدافهم . ولو انهم كانوا يتقنون  
استعمال المدافع الروسية التي تستعين باجهزة الرادار لقضوا قضاء  
تاماً على امواج المطاردات القاذفة . ان عهدهم بدرجة المدافع  
المضادة للطائرات جد قريب . أما طائرات الكورسير فقد  
امتركت في قذف مطار الدخيلة قرب الاسكندرية . وقذفت



في اليوم التالي مطار الماطة في الدلتا حيث هدمت الحطائر  
واحرقت بعضاً من طائرات الميغ .

وفي خضم القذف العنيف ودخان الحرائق المندلعة سقطت  
واحدة طائرات الكورسير التي يقودها الملازم لانكرانون بعد  
اصابتها بقذائف المدفعية المضادة. وتلطفت اذاعة القاهرة فوجهت  
تعزيتها الى زوجته واطفاله مع خطاب ذي طابع دعاوي وضع  
بعناية خاصة .

وفي ٥ تشرين الاول وصلت حاملات الطائرات الفرنسية  
الى بور سعيد تحمل طائراتها التي كانت ستزود المظليين بسند  
حاسم فاصل .

## معركة بين قنصلين

كانت تقابل معركة بور سعيد التي جرت يوم بدأ الانزال البحري في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ معركة اخرى وراء الكواليس . انها معركة رجلين يتقاتلان دون ان يرى احدهما الآخر . دبلوماسيان متميزان : قنصل ايطاليا ، الكونت فينشنتي ماريري وقنصل الاتحاد السوفياتي ، اناتولي تشيكوف .

كان القنصل الايطالي يناضل للحصول على وقف اطلاق النار وتجميد المعركة عند اعتاب المدينة ، وانقاذ الارواح ، والحد من الحاسائر المادية . انه لم يكن حليفاً للفرنسيين والبريطانيين ، بل لعله اقرب الى محاصمة البريطانيين خاصة . ولكنه كان يدافع عن افراد جالية بلاده وعددهم ١٥٠٠ وعن المدنيين الاوروبيين والآخرين كلهم أيضاً ...

والثابت انه كان يعمل لمصلحة بلاده التي تمثلها اكبر جالية في مصر بعد الجالية اليونانية محاولا الاحتفاظ بمواقعها التاريخية

القديمة . وقام بدوره في نوع من لباقة واستقلال بحيث انه اتخذ في بور سعيد وجه الضيف البشري .

ولو قدر للجنة السويدية ان تمنح جائزتها ، التي خصصها نوبل للعاملين للسلام لمستحقيها لاستحق هذا القنصل منحتها بشهادة مراسلي الصحف الافرنسية الذين شهدوه يعمل باخلاص خلال المأساة التي امتدت اسبوعاً كاملاً .

لقد اصبح خلال أيام قليلة بقامته الرقيقة ووجهه الشاب الذي لم يتأثر بالتعب الشديد بعد أربع ليال قضاها ساهراً لا ينام شخصية شعبية في مدينة بور سعيد . كان هذا القنصل يناضل على عشر جبهات محتفظاً في كل دقيقة بدمايته وظرفه وهدوء أعصابه . فكان يفاوض في وقف اطلاق النار ، ويزرع المؤن ويقوم بمهمة البلديات ويفتح مستشفى ويدافع عن المصريين ... لقد كان منحة السماء لبور سعيد .

اما خصمه فقد بقي خفياً . ولكنه لم يكن اقل حضوراً منه ولا اقل حيوية . انه قنصل الاتحاد السوفياتي . فقد كان يناضل من اجل تطويل المعركة لتصبح بور سعيد ستالينغراد جديدة . فقدم السلاح الى الجميع ، وعمل على وقف اطلاق النار ، ونظم اضراباً شاملاً ضد المحتلين . ووزع منشورات كثيرة تشجع على الصمود . لقد كان دبلوماسياً صلباً يتنقل بسيارة ليموزين سوداء فلا يكاد يكف عن التنقل من طرف من اطراف المدينة الى آخر . وذلك منذ بداية الانزال البحري حتى غادر الحلفاء أرض مصر .

لقد لعبت موسكو خلال العمليات الحربية لعبة دقيقة حذرة متوازنة بمهارة مع السياسة الاميركية . انها تقوم بكل عمليات التخويف ضد باريس ولندن ، واعدة بالتدخل دون ان تفعل ، ساحبة غواصاتها ، وطيارها ، ودباباتها ، ومدربيها في الوقت الذي كانت تعلن فيه عن استعداد متطوعها لحوض المعركة .

ان سرية من طائرات ايليوشن يقودها طيارون متطوعون كانت قادرة على تحويل الانزال الحليف الى مأساة بشرية . ويكفيها لتحقيق هذه الغاية طيران ثمانين دقيقة ابتداء من البحر الاسود... ولكن قنصل الاتحاد السوفياتي الصلب في بور سعيد يساوي وحده جيشاً .

لقد لعب السيد تشيكوف بتمديد المعركة يوماً كاملاً دوراً حاسماً في مغامرة الحملة على مصر . ومع انه لم يكن العامل الوحيد في تأخير التقدم الفرنسي البريطاني بسبب اشتراك عوامل اخرى فيه ، فقد كان ذا اثر كبير في عملية الوقوف التي جمدت قوات الحلفاء أمام القنطرة على مسافة ١٢٠ كيلومتراً من السويس .

كان قنصل ايطاليا في تشرين الاول في بور سعيد الشخص الوحيد الذي يعرف بالتجربة ما تعنيه عملية الانزال البحري . لقد كان في بكين حين استولى اليابانيون عليها . وكان في سايفون حين اسلم اليابانيون السلطة الى رجال الثورة في الهند الصينية ، كما كان فيها ايضاً حين نزل فيها الافرنسيون واسترجعوها .

كانت اذاعة قبرس تعلن يوماً بعد يوم عن وصول الحلفاء . فلم



يصدقها احد الا هو . لقد انتظر المصريون وصول حاملات الطائرات الى مينائي الاسكندرية وبور سعيد بين ١٢ و ١٤ ايلول . ولما لم يروها اعتقدوا ان كل ما تذيعه اذاعة قبرس انما هو خداع وتضليل .

اما القنصل الايطالي فقد كان ينتظر المعركة . ولذلك نظم قنصليته الايطالية بحيث تصلح للجوء الايطاليين اليها والمدنيين الاوروبيين .

كان يجمع فيها مخزونات من المواد الغذائية والادوية والوقود والماء . وكان يبتاع قناديل البترول والاوراق الزرقاء لتغطية زجاج النوافذ . كما اخلى المدرسة الايطالية المتصلة بقنصليته من مقاعد الطلاب وحولها الى مستشفى يتسع لستين سريراً . واتفق مع بعض اصحاب الشاحنات على نقل العائلات من المناطق المهددة عند الضرورة وطلب اليهم ايقاف سياراتهم في باحة الدير المجاور للاخوات الفرنسيسكانيات في سائقها .

كان بعض زملائه يقولون : ماريري مصاب بالحمى . في ٤ تشرين الثاني الموافق أحد أيام الآحاد وبينما نخبة بور سعيد كلها مجتمعة على عاداتها أمام فناء الكازينو . الموسيقى تصدح هادئة ناعمة ، وبياض المناضد ناصع نظيف والمصابيح الوردية مضيئة وباقات الازهار منتثرة ، واعضاء لجنة تفسير موظفي الشركة العالمية يتناولون فطورهم الذي يقدمه اليهم رؤساء خدم الفندق . توقفت الموسيقى فجأة ، واختلط الحابل بالنابل . لقد وصلت طائرات الحلفاء تنقض فوق المجرى المائي عند مدخله

وقد ارسلت صغيراً راعداً وقذفت صواريخها وطلقات رشاشاتها الثقيلة حول التحصينات الصغيرة المتناثرة .

فكان المشهد رائعاً ومخيفاً في الوقت نفسه تنبعث فيه الوان مختلفة كما لو انه ستارة فضية واسعة تجري فيها مشاهد سينمائية ملونة .

اما حول الناس ، فوق الشرفات والافنية فقد انتشر الجنود ورجال الشرطة بارديتهم السوداء وشبان من جيش التحرير الوطني كانوا قد تسلموا اسلحتهم امس الاول . كلهم يطلقون نيرانهم على الطائرات المغيبة التي تنطلق بسرعة الف كيلو متر في الساعة .

وفي مساء اليوم نفسه اذاع راديو قبرس نداء الى سكان بور سعيد يطالبهم باخلاء الشواطىء حتى شارع توفيق . ولكن شيئاً لم يتغير في المدينة . فقد بقيت المقاهي مفتوحة كالعادة وتابع السكان حياتهم اليومية ، كان الجو صافياً والبحر هادئاً ، وقد رسمت الحكومة ان تدفع للعمال والموظفين اجورهم قبل الوقت المعين مما اساع في نفوس الاهلين انفراجاً غير عادي .

وفي فجر اليوم التالي احيطت المدينة بطلقات الرشاشات والمدفعية ، وبدأت الوان مختلفة تظهر في الافق . انها اردية المظليين الحلفاء الذين نزلوا فوق مطار الجميل ليفتحوا طريق الجنوب الى السويس . ثم انطلقت موجة اخرى من المظليين فوق بور فؤاد من بعد ظهر اليوم نفسه . وهنا سرى الخوف في

قلوب أفراد الجاليات الإيطالية والاوروبية فامرعوا مشاة نحو مبنى القنصلية الإيطالية تحت صفيح الطلقات ودوي القذائف ، وتزاحم عند مدخل القنصلية ، واقتتل الناس مفتشين عن ملجأ لهم في أقبية القنصلية الرحبة .

أما في الشوارع فقد انطلق الشبان المصريون يحملون بنادقهم ورشيشاتهم للدفاع عن المدينة . وكانوا قد قضوا أسابيع من قبل يتمرنون على هذه الأسلحة . في هذه الاثناء كان السيد تشكيوف ، قنصل الاتحاد السوفياتي ، ينشط بقوة وعزم ، فظهر البراعة والذكاء وقوة الشخصية ما جعله بحق موضع ثقة رؤسائه . لقد عين قنصلاً في بور سعيد ، لان بور سعيد هي مركز القتال الاساسي .

كانت حريته في العمل تامة ، اذ لا يشغله من شؤون الادارة في القنصلية شيء ، لان بور سعيد خالية من جالية روسية ، والزوار الوحيدون الذين يأتون القنصلية هم الربابنة الروس الذين اتوا لقيادة السفن من كل جنس بالاشتراك مع ربابنة آخرين عبر المجرى المائي .

لقد عقد رجل شبيلوف ، صداقة وثيقة مع الكولونيل رشدي ، مدير الشرطة الخاصة لمنطقة القناة ، وهو اليد اليمنى لعبد الناصر ، وكان هذا الكولونيل قد القى القبض على الشيوعيين وأنصارهم من النقابيين فزجهم في السجون .

حاول القنصل بالتعاون مع رشدي ان يعمل المستحيل لتقوية حامية بور سعيد ووضع خطط الدفاع وإشاعة الحماسة في المدينة .

كان يقول ، يجب عـلى بور سعيد ان تصبح ستالينغراد  
جديدة اذا نزلت قوات الحلفاء ، وكان أحد المطالبين باحداث  
التخريب في القنـاة بعد توجيه الانذار ، فنادى باغراق سفن  
الشركة العالمية أمام بور سعيد .

أما فيما يتعلق بالدفاع عن المدينة فقد أصابته خيبة شديدة بعد  
ان سحبت الحكومة المصرية أحسن قواتها من شبه الجزيرة ، ولم  
تبق من الحامية غير ثلاثة آلاف جندي انضم اليهم ١٥٠٠ من  
رجال الشرطة . لقد كانت خطة الحكومة المصرية مخالفة  
لخطة .

في هذه الأثناء تكاثر اللاجئون في مبنى القنصلية الإيطالية ،  
الناس ير كضون وقد احنوا ظهورهم كما لو انهم يسيرون تحت  
وابل من الثلج . فالطلقات النارية وقذائف المدافع وصفيـر  
الطائرات والموت الذي يختبئ في كل زاوية من زوايا الشوارع  
هذه كلها كانت تزرع الرعب القاتل في نفوس الاوروبيين المدنيين  
على اختلاف جنسياتهم .

كان القنصل الإيطالي ينادي فيمن حوله ، عـلى متطوعين  
يساعدونه في انقاذ العائلات المتعرضة للخطر ، فلم يقابله غير  
الصمت . وعندما اجتاز الى الباب الخارجي لم يكن يتبعه غير  
السائق المصري محمود وعامل إيطالي ( بونتيزي ) .

وانطلق السيد ماريري يتبعه مساعداه نحو دير الفرنسيسكانيات  
حيث وضع شاحناته المستأجرة وسائقها . فاذا به يجد عند الباب  
الخارجي للدير شاحنة ضخمة محملة بالذخائر ، تهدد بنسف الحي



كله .

لقد اختفى سائقو القنصل . فأتجه ماريري الى المراتب فوجد  
بابه مقفلاً . وسأل القنصل : عن يحمل المفتاح ؟  
فأجابته إحدى الأخوات : الام الرئيسة هي التي تحمله في  
مكتبها مع بقية المفاتيح . ولكنها في خضم هذا الفزع قد  
أضاعته .

فرجع السيد ماريري الى القنصلية واستقل سيارته الخاصة  
من طراز ( فيات ) واتجه نحو العنوان الاول من قائمة الاخلاء  
التي نظمها . انه اكثر المنازل تعرضاً للخطر ، فهو أقربها الى جبهة  
البحر . انه بيت باتريا .

اوقف سيارته أمام الباب ونادى بأعلى صوته .  
— ماذا تريد من السيد باتريا ؟ سأله رجلٌ مطلٌّ من نافذة  
الطابق الاول وهو في الغلالة .  
— قل له ان ينزل حالاً ، انني آت لمرافقته مع عائلته الى  
ملجأ القنصلية .

— أراك مصداً ما يقال من ان الانزال سيحدث في القريب  
العاجل .

— قلت لك : ارسل الي السيد باتريا !  
— هون عليك ! فان هذا البيت ليس اكثر تعرضاً للخطر من  
سواه .

— ولكنني ارجوك ، فانا القنصل الايطالي . تعال والسيد  
باتريا فالتجأ الى القنصلية .

- انني لا أستطيع ان انادي عليه . لأن باتربا هو أنا !  
وهكذا قضى القنصل يومه كله يحمل الى قنصليته من الشيوخ  
والاطفال والنساء من يسأله العون والمساعدة .

وكانت موجات من الجنود تنطلق من الشاطئء تحمل  
الجرحى الى الاحياء الاوروبية وتترك وراءها الاموات الذين  
بقيت جثثهم ثلاثة أيام على الشاطئء القريب وقد بلغت شدة  
المعركة أقصاها .

وفي المساء أصبحت سيارة السيد ماريري شلواً ممزقاً .  
اخترقتها طلقات نارية من أعلى وأصابت زجاجها الامامي طلقات  
مثلها . أما مقاعدها فقد خربت وتمزقت . ولم يبق صالحاً منها  
غير مقعد السائق اي ماريري نفسه .

لقد نجا السيد ماريري من الموت باعجوبة .  
وكانت مئات من العائلات من أجناس أوروبية مختلفة قد  
ملأت غرف مبنى القنصلية ، كما حمل عشرات الجرحى الى  
المستشفى الذي ارتجله القنصل ارتجلاً في المدرسة المجاورة له .  
ولم ينس السيد ماريري ان يحتجز طبيباً جراحياً لمثل هذه  
الايام العصيبة . ولكنه لم يستطع الاحتفاظ به خلال النكبة .  
كانت النيران قد بدأت تندلع في منطقة مربعة طول ضلعها  
٤٠٠ متر قائمة قرب المطار ، وقد أقيمت قريباً منها بطاريات  
المدافع المضادة للطائرات ، وظهرت المدينة بهذه النيران الواسعة  
وكأنها بعث لذكرى مدينة أمستردام التي تعرضت لقذف  
طائرات الافتواف الالمانية في الحرب العالمية الاخيرة .

وانصل السيد ماريري بروما يطلب العون لآلاف اللاجئين  
من ايطاليين وعرب قذفت بهم النيران عن بيوتهم عراة او  
أشباه عراة، اتصل يطلب ثياباً وأغذية وأدوية توصل فوق سفينة  
قادرة على إخلاء المدينة من أفراد الجالية الايطالية .

فاعدت الحكومة الايطالية باخرة خاصة أفرغت فيها أربعة  
آلاف طن من الثياب والأغذية وحولت قسماً كبيراً من ألبانها  
وغيرها الى مستشفى وزودتها بستة أطباء و ١٢ ممرضة .

ولكن حملة الانزال البحري سبقت الباخرة الايطالية .

فقد انفجرت جهنم بكل ما تحتويه من لهب ومتفجرات في  
اليوم التالي لتزول المظلمين أي في ٦ تشرين الثاني، فظهرت السماء  
وكأنها تكاد تنقض فوق الناس ، والطائرات تملأ الجو بصفيها  
الرابع الخفيف ، والانفجارات تتتابع في حركات متسارعة ، ثم  
اسودت السماء وقد انتشرت فيها موجات ضخمة من الدخان  
تنطلق من مستودعين للبتروول اصابتهما قنبلة من قنابل المغيرين .  
وظهرت الشمس في الصباح وكأنها قمر باهت اللون . لقد بدأ  
الانزال البحري .

وبينما كاد الناس يطمثون الى ما اذيع من قرب وقف  
اطلاق النار الذي أعلنت عنه الاذاعة البريطانية في لندن اذا بهم  
يفاجأون بهذه الموجة العاتية من النيران والطائرات والقنابل  
والسفن الماخرة عند الشاطئ ، والتي كانت تحمل كلها لحيال الناس  
صورة الفزع الأكبر .

وانصل السيد ماريري بقناصل الدول الاخرى عند الساعة

السابعة من الصباح طالباً عقد اجتماع عاجل للاتصال بالفريقين المتقاتلين والاتفاق معهما على اعتبار بور سعيد مدينة مفتوحة انفاذاً لأرواح المدنيين والعاجزين من الشيوخ والاطفال والنساء .

ثم تتابعت موجات الغزاة المغيرين وتلاحقت صفوفهم تنزل من السماء او تصعد من البحر ، واحيط بمدينة بور فؤاد التي يقود المغيرين فيها الكولونيل بروتيه الفرنسي . وأخيراً أشار طيار أميركي ومهندس هولندي على الكولونيل أن يستعين بطبيب جراح لبناني ، الدكتور حجار ، ليكون وسيطاً في مفاوضات وقف إطلاق النار .

وتم الاتصال بين محافظ المدينة المصري رياض والكولونيل الفرنسي تلفونياً .

- ما هي شروطكم ؟ سأل المحافظ المصري .
- اجمع رجالك في ثكنات وارفع العلم الابيض .
- أنا في حاجة الى فرصة .
- انني امنحك ساعة

وبعد ان التحق الجنرال ماستو بالفرق المحتلة في بور فؤاد وانضم الى الكولونيل بروتيه ، جاء الجواب من قبل الجانب المصري بالرفض .

وانصل الدكتور حجار بالكولونيل رشدي قائد المنطقة ، فقال له الكولونيل انني سأتابع المعركة حتى النهاية ، ولو خربت المدينة وانقلبت رأساً على عقب .



في هذه الاثناء كان الجنود المغاوير من التابعة البريطانية يملكون قرب نوافذ القنصلية الايطالية في بور سعيد، فهاج القنصل وثار، وراح يتصل بجهات مختلفة في موجه من القلق العام، وانطلق الى احدى النوافذ في الطابق الاول ففتحها والقى منها رزمة من الاوراق، ولكنه لم يكذب يفعل حتى ازلت امامه رصاصات متتابعة. فاغلق النافذة وقد كاد يجد الموت.

وفي التاسعة صباحاً انفجر دوي هائل عند سور القنصلية، فقد كانت دبابة بريطانية من طراز ( سنتوربون ) تقتحم السور لتقتل ثلاثة رجال من المقاومين كانوا يطلقون النار عليها، ولما فتح القنصل النافذة اكتشف ثلاث جثث مسجاة وراء السور.

كان الجنود البريطانيون يصطدمون في زحفهم الكثيف بنار كثيفة مثله آتية من الجانب المصري.

وحاول السيد ماريري الاتصال كره اخرى بالكولونيل رشدي، ولكنه لم يجده، بينما كانت الحامية المصرية تستبدل في مقاومة المغيرين الذين يفوقونها عدداً وعدد اضعافاً مضاعفة.

وبعد أن تم الاتصال رفض السيد رشدي الدخول في أية مفاوضة قبل الاتصال بالقاهرة.

فلم يتردد القنصل في محاولة الاتصال بسفارته في القاهرة، راجياً ان تقوم بالترتيبات اللازمة مع سيادة الرئيس عبد الناصر واقناعه بضرورة وقف اطلاق النار في بور سعيد التي تتعرض لحراب ماحق وخسائر بشرية ضخمة.

ولكن المركز التلفوني لم يصله بالقاهرة قائلاً له : الخطوط كلها مشغولة . وهناك خط خاص يراقبه السيد رشدي نفسه فلا يسمح لأحد باستعماله ، فتأكد القنصل عند ذلك وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ان التفاوض على وقف اطلاق النار لن يتحقق أبداً ، وان المعركة في تزايد مستمر .

حاول السيد ماريري بعد ذلك أن يتصل بزميله الأميركي يرجوه التدخل مع الجانب المصري والاصرار على ارسال وفد للمفاوضة في تمام الحادية العشرة الى مبنى القنصلية .

وكان الجواب على هذه الاتصالات ان سيارات كثيرة انتشرت في الشوارع تبعث بنداواتها الشجاعة وروح المقاومة عند رجال الحامية ولا سيما جتود جيش التحرير الذين يستبدلون في نضالهم اليأس .

وفي الساعة ١١ وصل الجنرال بوفر الفرنسي يرافقه الجنرالان البريطانيان مادوك وستيفنس بحرسهم فريق من الجنود ومعهم ضابط مصري أسره المظليون البريطانيون في مطار الجبل ، الى مبنى القنصلية الإيطالية .

هل هناك استسلام جدي؟ سأل الجنرال بوفر مخاطبه القنصل الإيطالي .

فاجيب : ليس هناك استسلام بل امكانية ايقاف اطلاق النار . وبعد محادثات تليفونية كثيرة مع الجانب المصري الذي يمثلته الكولونيل رشدي ، باءت المفاوضات بالفشل . وخرج القادة البريطانيان والفرنسي وقد عزموا على اقتحام ما بقي من المدينة واحتلالها بيتاً بيتاً وشارعاً شارعاً .

## تراجع امام الهدف

سحب الرئيس عبد الناصر احسن قواته الى منطقة الدلتا .  
وانتخذ الجميع قواعدهم المرسومة لهم عند صباح ٦ تشرين الثاني .  
فقد كان مصمماً على الدفاع عن القاهرة .  
أما الاسرائيليون فكانوا ينتظرون بعيداً عن الضفة الآسيوية  
للقناة اقتراب القوات الفرنسية والبريطانية والتي ستمد اليهم يد  
العون عند الضرورة .

في هذه الاثناء كان ايدن مهدداً بالموت .  
اذ لم تعد القناة البلاستيكية التي وضعها له الاطباء  
الاميركيون في أحشائه منذ ثلاث سنوات صالحة للعمل ، وكان  
جسده مرهقاً تحت سيل من الابعاء والازمات النفسية والليالي  
الطويلة التي قضاها ساهراً والمجبات التي شنها عليه العالم ولا سيما  
جبهة المعارضة في مجلس العموم ، وبصورة أخص الجبهة المعارضة  
له في صفوف حزبه . لقد كان ايدن يتمسك بمنضدته في حالة

من التشنج الشديد ليحتمل الآلام التي تمزقه .  
لقد تأثر تاريخ بريطانيا في يوم من الأيام بسبب الحصة التي  
كانت موجودة في المجرى البولي لجسد كرومويل .  
وبعد ذلك بثلاثة سنة تتكرر هذه المأساة بسبب القناة  
البلاستيكية التي وضعها الاطباء الامير كيون في أحشاء ايدن  
ليقرر لقناة السويس مصير جديد .

في الليلة السابقة للخامس من تشرين الثاني وصل السيدان  
بورجيس مونوري و كريستيان بينو لتقوية معنويات ايدن  
الذي بدأ ينحني أمام الضغط العالمي واحتجاجات الكومونولث  
وتهديدات هيوغيتسكل زعيم المعارضة في مجلس العموم .  
فوجدوا في « ١٠ داوننج ستريت » رجلاً محطماً هدته  
الازمات فانهارت أعصابه ، على انهما هما نفسيهما في حاجة الى  
من يجدد فيهما النشاط ويبعث فيهما القوة والامل . لقد انهكتهما  
ليالٍ طويلة من السهر المضي ، ولولا ان فرنسا برمتها وراءهما  
لكان من الممكن ان يصيبهما ما أصاب ايدن نفسه .

لقد كان ايدن عاجزاً عن ضبط مجلس وزرائه والسيطرة  
عليه بعد ان سيطر على آلامه الجسدية ، وعلى رأس المعارضين  
اسياسته هذه نائبه راب بطار واquoy المرشحين لخلافته من بين  
أعضاء حزبه . كان راب يهدد بالاستقالة يلحقه سبعة من الوزراء  
خلال ٢٤ ساعة ان لم تتوقف المعركة .

ووراء هؤلاء الوزراء اربعون نائباً من حزب المحافظين  
يهددون بالاعتراع ضد مجلس الوزراء .



هذا بالإضافة الى قوة رجال البترول الذين كان ايدن يستهين بهم من قبل .

وفي تمام الساعة ١١ من مساء هذا اليوم انطلق انذار بولغانين يهدد باريس ولندن ان لم تكف عن العدوان ، لا سيما وان في هذا الانذار تلميحاً باستعمال الصواريخ الذرية ضد العاصمتين في النص الذي أذيع في داخل الاتحاد السوفياتي ونقلته وكالة الانباء الفرنسية ا - ف - ب .

كما وجه انذار الى اسرائيل أشد عنفاً يهدد باعادة النظر في وجود هذه الدولة .

وقد بعثت رسائل التهديد هذه في أرجاء باريس حاله نفسية مستعصية على الوصف . ان الحرب الذرية ستنفجر في كل ساعة .

وحملت رسالة التهديد الى السيد غي موليه في قصر الماتينيون في باريس من قبل السيد جوكس السكرتير العام « للكيه دورسيه » .

فتساءل رئيس مجلس الوزراء الفرنسي عن موقف البريطانيين ؟ وطلب الاتصال بالسيد شوفال في لندن .

كان السفير الفرنسي في منزله الهادىء القائم قريباً من نايتسبريدج . وبعد عشر دقائق من حدوث الاتصال التلفوني لاحظ السيد شوفال ان وزارة الخارجية التي تسلمت الانذار لم تجد ضرورة ملحة لابقاظ السيد ايدن الذي كان قد ذهب الى منزله .

وتلاحق الوزراء الفرنسيون الى القصر حتى ان بعضهم لم يكذب يضع شاله فوق معطفه الذي لبسه سريعاً فوق غلالة نومه . كان رئيس الوزراء الفرنسي محتفظاً بهدوء أعصابه ، وكان يتساءل قائلاً : انه لا يسع الاتحاد السوفياتي ان ينقل الحرب الذرية الى اوروبا دون ان تصلى بلاده بنارها . كما انه لا يسع الولايات المتحدة ان تترك جيش الاطلنطي وحده . ومع هذا كله فان الاتحاد السوفياتي الذي وجد حرية في العمل مقلقة قد اصبح حليفاً للولايات المتحدة في هيئة الامم ضد المعتدين في القناة .

وهو لم يكتف بهذا النصر بل أعلن عن نيته في ارسال المتطوعين المسلمين الروس الذين يرغبون الالتحاق بالقوات المصرية .

فحملت هذه الاخبار التي أذاعتها الاذاعات العربية والسوفياتية الى القيادة في قبرص موجة من الاضطراب والقلق ، لاسيما وان سوريا قد بدأت تتحول ميداناً صالحاً لجملة تدخل روسية ، فقد كانت طائرات الميغ تصل تباعاً وفي موجات كبيرة الى المطارات السورية .

وقد بلغ الفزع حداً جعل الناس في أكروتييري في قبرص يهربون الى الملاجئ ، حين جاءت طائرة من طائرات الكاينيرا البريطانية تحط فوق أرض المطار تتبعها طائرة فرنسية من طراز « تاندر ستيك » وظن الناس لأول وهلة انها طائرة ميغ روسية .

وبعد يومين جاءت الاخبار الوثيقة معلنة اسقاط طائرة  
بريطانية فوق الارض السورية من قبل طائرة سوفياتية .  
والحقيقة التي ظهرت بعد ذلك انه لم تنزل في المطارات  
السورية اية طائرة سوفياتية .

وقد تأكد الجنرال بروهون من هذه الواقعة بعد ان أرسل  
مصوريه الطيارين الى مختلف المطارات السورية . أما السفن  
المحملة بالاسلحة ، والتي وصلت الى الموانئ السورية فهي سفن  
مرسلة منذ وقت بعيد عبر الاسكندرية .

واتخذ قادة الحلفاء احتياطات استثنائية سريعة وأمرؤا سفنهم  
بالابتعاد قليلاً عن الشواطئ المصرية استعداداً لمقابلة غواصات  
روسية منتظرة .

وهكذا بعدت سفينة القيادة التابعة للجنرال بوفر تسعة  
أميال عن الشاطئ وأمرت الدارعة جان بار بالرجوع الى مياه  
قبرس خوفاً من قاذفات ايليوشن الروسية التي قد تصل من  
القوقاز أو بلغاريا .

وقد استعاد الوزراء الفرنسيون آئناً بعد بعض روعهم حين  
جاءتهم أخبار كاذبة تعلن ان بورسعيد قد استسلمت . فاعتقدوا  
ان احتلال بقية القناة سيتم خلال ساعات قليلة .

وقررت وزارة الخارجية ايقاظ السيد ايدن عند منتصف  
الليل ، وفي تمام الساعة الثانية والنصف بعد نصف الليل تم الاتصال  
التلفوني بين الرئيسين الفرنسي والبريطاني .

واعتقد الرجلان ان المقصود من هذا التهديد الذري هو

الظهور أمام العرب بمظهر المحامي المخلص عن قضيتهم ، وقررا  
ضرورة الاتصال بوشنطن لمعرفة ما اذا كانت المظلة الذرية  
مضمونة لكل من باريس ولندن .

وسأل موليه ايدن عن أخبار حملة الانزال في القناة .  
فما كان المسؤول أعلم من السائل .

باريس ولندن في عزلة تامة عن قبرس بعيد حلول مساء ٥  
تشرين الثاني ، أي بعد وصول آخر خبر كاذب ينسب باستسلام  
بور سعيد .

والحقيقة ان قيادة الحلفاء قد تابعت عملية الانزال ، وطمّن  
الناس في فرنسا ان القيادة قد تظاهرت بانقطاع المواصلات مع  
لندن وباريس لتكتمل ما بدأته .

ومهما يكن الامر فقد ترك الرئيسان ايدن وموليه آلة  
الهاتف وهما في قلق شديد .

وفي الواحدة من بعد ظهر ٦ تشرين الثاني ، وبينما كان  
رئيس الوزراء الفرنسي يتناول طعامه مع السيد اديناور في حفلة  
تكرمية له جاءه من يخبره ان ايدن يطلبه على التلفون .

لقد قضي الامر وقرر ايدن ايقاف اطلاق النار ، فهو لم يعد  
قادر آ على تحمل الضغط الذي يأتيه من هيئة الامم المتحدة  
واشنطن وصفوف المعارضة في لندن ، مع العلم ان ايزنهاور  
قد أفهم الروس بان اميركا مستعدة لاعلان حرب ذرية ضدهم  
بعد القاء اول قنبلة ذرية فوق باريس أو لندن . كما انه أفهم  
باريس ولندن بان اميركا غير مستعدة لتأييد عدوانهم على مصر



فما اذا انطلقت موجات المتطوعين من الروس لايقاف زحفهم ونحطيم قواهم ، وعلى هذا فهما لا تستطيعان ان تعتمدا على اي تأييد امير كي في هذا السبيل .

كانت واشنطن تقول : اوقفوا اطلاق النار ، فلا يمكننا ان نبقي حلفاء وانتم على ما انتم عليه .

وهنا أصيب ايدن بالدوار حين تبين قرب حدوث القطيعة مع الولايات المتحدة .

وأعلن ايدن بالتلفون انه قد أبلغ كيتلي الامر بايقاف اطلاق النار عند الساعة الخامسة مساء .

واصيب الرئيس الفرنسي بالذهول ، لقد كادوا يقتربون من الهدف .

— ولكن ... أجل : تنفيذ الامر ٢٤ ساعة فقط بحيث نحقق القسم الأكبر من خططنا ونعمل باوامر هيئة الامم .

— هذا مستحيل بسبب موقف اصدقائنا فيما وراء البحار . وفي تمام الواحدة والنصف أبرق الجانب البريطاني الى كيتلي يقول له بالحرف الواحد :

«استعدوا لايقاف اطلاق النار عند الساعة الخامسة والنصف» ( السادسة والنصف في بور سعيد ) .

وكان ايدن قد سأل موليه عما اذا كان في مكنته ان يعلن عن ايقاف اطلاق النار باسم الحكومتين ؟

وفكر موليه قليلا ، فهو لا يسهه ان يتابع المعركة وحيداً ، لا سيما وانه كان قد تلقى منذ قليل دعوة من ايزنهاور للدخول

في مفاوضات ثلاثية : بريطانيا ، فرنسا ، اميركا ، لاعادة المياه الى مجاريها بين الحلفاء الثلاثة .

فاجاب : نعم ، باسم الحكومتين .

على انه كرر رجاءه في تأجيل وقف اطلاق النار بضع ساعات ليصبح الجميع على علم بالامر ، فوافق ايدن على تأجيله الى نصف الليل . وقال :

- نعم نصف الليل ، بالتوقيت البريطاني .

ولكن السيد ايزنهاور لم يلبث أن رجع عن دعوته بحجة ان الالتقاء لا يمكن ان يتم قبل التنفيذ التام لقرارات هيئة الامم المتحدة ، وان اي موقف آخر سيجد معارضة شديدة وسوء فهم في كل من الولايات المتحدة وبقية بلدان العالم . والمقصود ببقية البلدان طبعاً هو البلدان الآسيوية والأفريقية .

والواقع ان السيد موليه لم يفهم الأمر كما حدث تماماً ، فايدن هو الذي طلب من ايزنهاور تنظيم هذا الاجتماع بعد ان اكده استعداداه لوقف اطلاق النار .

وعلى كل حال فان الخارجية الاميركية قد بعثت برسالة الى ايدن تشرح له فيها موقفها قائلة : ان مثل هذا الاجتماع السريع سيعرض اميركا لاتهامات شديدة من قبل البلدان العربية ، تجعلها متواطئة مع الحاطنين الذين شجبت الامم المتحدة عدوانهم على مصر .

وفي الساعة ١٥ و ١٩ دقيقة ابرق المكتب الحربي في لندن الى القيادة في قبرس :

- «ساعة إيقاف إطلاق النار لم تعد الحامية بل أجلت الى ٢٣،٥٩ من المساء .

نحن موافقون على ان تستولوا على اكبر جزء من الارض  
يمكن في اتجاه الجنوب . »  
كانت القيادة الحليفة في أرض مصر قد قررت الاتجاه نحو  
الجنوب عند الساعة العاشرة مساء بعد تجميع القوى  
اللازمة لذلك .

ولكن الجنرال ماستو قد ذهل حين علم بأمر إيقاف إطلاق  
النار قبل حلول الوقت بساعة واحدة وتسع وخمسين دقيقة .  
فانفجر وخرج من غرفة مكتبه وانطلق الى جنوده يطلب  
اليهم متابعة الزحف . وفي الساعة ١٢،٢٣ وصل امر من الجنرال  
ستوكويل الى سيارة القيادة يقول :  
- « لا تقوموا بأي تقدم نحو الجنوب » .

واخيراً تلقى السيد ايدن وهو يغادر « وستمنستر » برقية  
من قبرس بعد انقطاع دام خمسين ساعة تقول : توقف التقدم  
الحليف عند ضواحي القنطرة !  
لقد كانت هذه آخر الطلقات .

وهنا لم يكن يدور في خاطر ايدن : الرجل الذي أسكرته  
الحمل ، وحطمته المראה ، واهلكه الانهالك غير فكرة واحدة :  
الابحار الى جزيرة يستطيع فيها ان ينام ١٥ نهاراً و ١٥ ليلة .  
وهكذا انتهت حياة دبلوماسي من أكبر دبلوماسيي العالم .  
ولم تؤجل استقالته قليلاً الا للحيولة دون ان تكون هدية

مقدمة الى السيد جمال عبد الناصر .

ورجع ايدن بعد فترة الاستيham الى لندن محتفظاً بمقعدہ  
عددآ قليلاً من الاسبوع ، ثم رفع استقالته الى الملكة بعد ان  
أنذره أطباؤه بتزايد احتمالات الخطر على حياته . فانتہت في  
بريطانيا صفحة من الصفحات ، وفتحت صفحة جديدة .



# فهرست

صفحة

٣	...	...	...	...	...	تمهيد
						كيف بدأت اسرائيل
١٤	..	..				الحملة البريطانية الفرنسية
٤٨	..	..				خمسون يوماً من الاستعداد
						جدل عنيف في هيئات الاركان العامة
٨٣	..	..				في جزيرة ه ميروس
١١٠	..	..	..	..	..	اسرار سيناء
						القوة الجوية : امر
١٢٧	..	..				بربع الحرب دون القيام بها
١٤٤	..	..	..	..		معركة بين قنصلين
١٥٧	..	..	..	..		تراجع امام الهدف



## صدر حديثاً

ق.ل.

٣٠٠	هكذا يضيع الشرق الاوسط لألفرد ليلينتال	—
١٠٠	ضد التعذيب في الجزائر لبيير — هنري سيمون	—
٧٥	اللعب بالنار لجيمس فورستال	—
٧٥	ديناميت في الشرق الأوسط ١ للدكتور خليل طوطح	—
٧٥	ديناميت في الشرق الأوسط ٢ » » »	—
٧٥	اسرائيل جريمتنا للدكتور ميلر بوروز	—
٢٠٠	هذه هي الديمقراطية للرئيس ادوار بنيش	—
٢٠٠	المان لوليم زيف	—
٢٠٠	الثلاث الكبار لد.د. دالين	—
٢٠٠	ساعة الحسم لصمتر ويلز	—
٢٠٠	قصة الاستقلال في سوريا ولبنان لليدي سبيرز	—
٢٠٠	سأتكلم بصراحة لجيمس برنر	—
٢٠٠	سحابة بورتسموث لصدر الدين شرف الدين	—
٢٠٠	لا فال يتكلم لبيير لافال	—
١٠٠	كنت جاسوسة عند ستالين للسيدة ماسينغ	—
١٠٠	تعال معي إلى موسكو للجنرال بيدل سميث	—
١٠٠	كنت ظلاً لتشر شل ه. طومبسون	—
١٠٠	أنا عائد من مراكش لروم لاندو	—
١٠٠	ترجمان هتلر يتكلم للدكتور شمت	—
١٠٠	مذكرات هتلر جمعها مارتن بورمان	—